الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 8 ماي 1945 قالمة

كليـــة الآداب واللغـــات
قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات
في
النحو الوظيفي

دروس وفق مفردات مقياس النحو الوظيفي للسنة الثالثة الجامعية

د. إبراهيم براهمي

السنة الجامعية: 2015 – 2016

محاضرات
في
النحو الوظيفي

د. إبراهيم براهمي

قائمة الرموز المستعملة في النحو الوظيفي (*)

المقولات

ف = فعل

ص = صفة

ط = رابط (كان...)

م س = مركب اسمي

م ص = مركب وصفي

م ح = مركب حرفي

م ظ = مركب ظرفي

مض = ماض

حا = حاضر

Ø = الوظيفة الصفر

الوظائف الدلالية

منف = منفذ

متق = متقبل

مستق = مستقبل

مستف = مستفيد

أد = أداة

زم = زمان

مك = مكان

حل = حال

عل = علة

مصا = مصاحب

الوظائف التركيبية

فا = فاعل

مف = مفعول

الوظائف التداولية

مح = محور

بؤجد = بؤرة جديد

بؤمقا = بؤرة مقابلة

منا = منادى

المواقع

م2 = موقع المبتدأ

م3 = موقع الذيل

م4 = موقع المنادى

م1 = موقع الأدوات الصدور

م Ø = موقع المحور أو بؤرة المقابلة أو اسم الاستفهام

ف = موقع الفعل

ط = موقع الرابط

فا = موقع الفاعل

مف = موقع المفعول

ص = موقع المكونات التي لا وظيفة تركيبية لها ولا وظيفة تداولية تخولها التموقع في مØ

رمـــوز عامـــة

π = مخصص المحمول (زمن، جهة)

Ø = محمول اعتباطي

(س^{1} ، س^{2}... س^{ن}) = متغيرات الموضوعات

⟵ = ((يتموقع في))

(*) – ينظر في قائمة الرموز : الوظائف التداولية في اللغة العربية، أحمد المتوكل، دار الثقافة، ط01، 1985، الدار البيضاء، المغرب، ص05

مُقَدِّمَة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الأكرمين وأصحابه الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد...

اهتمت الدراسات اللغوية منذ القديم بالنظام التركيبي للغة؛ وحاولت الإحاطة بجوانبه المختلفة من خلال ما قدمه النحاة من أبحاث متنوعة؛ فيما شملت النظر الواسع في نسيج العلاقات التركيبية وتحليلها، فبينت أنماط الإسناد وعلاقاته، وطرائق نسجه، وما يحسن السكوت عليه، وما لا يتم الكلام إلا به، وما لا تتحقق الفائدة إلا به، وما سوى ذلك من قضايا ظل كثير منها يثير النقاش إلى يومنا... ولا يخفى على المتأمل في ذلك كله إدراك حقيقة ما لهذا هذا الجانب من نظام اللغة من أهمية في الكشف عن براعة المخاطب، وعبقريته في هندسة الجملة، وبناء العبارة وتشكيل الخطاب، وكيف تتجسد من خلال هذا الجانب الصورة الحقيقية الفعلية لعملية التخاطب والتواصل؛ الوظيفة الأولى لكل لغات الإنسانية.

ألا ترى أن هذه الوحدات المكونة للغة – دالة وغير دالة – تظل مغلقة على ذاتها عديمة النفع والجدوى إذا لم تنتظم في نظام التراكيب اللغوية؛ فالتعالق بين عناصر التركيب اللغوي إذاً هو الذي يعطي للوحدات اللغوية قيمتها، ويكسبها بهاءها وجودها، ومن ثمة القدرة على الإبلاغ والتأثير أثناء التواصل. والنظر في هذا القوانين والأصول التي يبنى عليها التركيب اللغوي عليها مدار اللغة، وهي التي تفتح المجال الواسع للتداخل والتفاعل الحاصل بين البنية التركيبية وبقية المستويات اللغوية، وقد تأسست في التراث اللغوي العربي نظريات لغوية وظيفية سعت إلى تقديم رؤية نحوية شاملة لفهم البنى التركيبية.

وفي الدرس اللساني الحديث ظهرت عديد النظريات النحوية التي قدمت نماذجها التحليلية في فهم النظام التركيبي للغة، بل إن كثيرا من هذه النظريات حملت مقاصد أشمل وغايات أوسع في تفسير الظاهرة اللغوية ككل؛ ومن ذلك السعي إلى تأسيس "نحو كلي" تحلل من خلاله كل اللغات الإنسانية.

وتعد نظرية النحو الوظيفي " The Theory of Functional Grammar"– يرمز لها اختصارا F.G – واحدة من أبرز النظريات اللغوية المعاصرة اشتغالا بالبنى التركيبية للغة تنظيرا وتطبيقا، وانفتاحا على الأنساق المعرفية الأخرى (التعليم والتعليمية، الإعلامية والحوسبة...)، وقد ظهرت في العقد السابع من القرن الماضي بجامعات هولندا على يد اللساني الهولندي "سيمون ديك Simon Dik" ثم توسع نطاق الاشتغال بهذه النظرية اللغوية إلى مختلف بقاع العالم.

وفي العالم العربي أصبح للنظرية شيوعا وانتشارا في حلقات البحث والدرس بفضل جهود مجموعة من الباحثين المغاربة؛ يأتي في طليعتهم اللساني العربي"أحمد المتوكل" الذي قدم منذ مطلع الثمنينيات بحوثا متميزة – تتجاوز اليوم أكثر من عشرين (20) مؤلفا– مر فيها بمراحل متنوعة؛ فمن مرحلة التعريف بهذه النظرية إلى مرحلة التنظير والانجاز إلى مرحلة قراءة التراث اللغوي العربي انطلاقا من التصور اللساني الوظيفي إلى جانب تقديم تطبيقات لها في اللغة العربية.

وهذه المحاضرات التي أقدمها اليوم تعود أصولها – في جانب كبير منها – إلى دروس قدمتها خلال السنوات الماضية أثناء إشرافي على تدريس مقياس" النحو الوظيفي" لطلبة السنة الثالثة من الشعبة اللغوية في قسم اللغة العربية وآدابها. وقد أتاح لي ذلك فرصة الاهتمام بهذه النظرية عن قرب ومحاولة الإلمام بجهازها المفاهيمي، والتعرف إلى بعض قواعدها وأسسها المعرفية.

و لم أجد من التأليف في هذه نظرية اللغوية إلا بحوثا قليلة؛ إذا استثنينا عددا من البحوث الأكاديمية الرصينة التي ظهرت بالأخص في بعض الجامعات المغاربية (المغرب، الجزائر، تونس) في السنوات الأخيرة، وهذا ما شجعني على جمع هذه المحاضرات حتى يتسنى للطلبة من الاستفادة منها، وما تجب الإشارة إليه لزاما؛ اعتمادي وفي كثير من الأحيان على الأبحاث والدراسات العمد التي ألفت في هذا المجال؛ لا سيما مؤلفات اللساني العربي "أحمد المتوكل".

وقد لفت انتباهي أثناء ألقاء هذه المحاضرات ما يقع فيه كثير من الطلبة من الخلط في المفاهيم الناتج عن عدم التمييز بين النحو الوظيفي بوصفه مصطلحا مماثلا للنحو التعليمي الذي يهتم بالجانب التطبيقي لمفاهيم النحو العربي؛ وقد أُلف في هذا الباب في العصر الحديث عدد غير قليل من المؤلفات (*)، وبين النحو الوظيفي – موضوع هذه المحاضرات – هذه النظرية اللسانية الحديثة؛ التي جاءت على شاكلة نظرية النحو التحويلي التوليدي وغيرها، من النظريات اللسانية المعاصرة، لتقدم تفسيرا للظاهرة اللغوية بشكل عام، وتسعى إلى وضع كليات لغوية تتعلق بكل اللغات الطبيعية.

وقد تضمنت هذه المحاضرات عددا من البحوث التي تحمل مقاصد تعليمية بالدرجة الأولى؛ بما يتطلبه ذلك من التيسير في توضيح المعلومة والتسهيل في وصفها وتوضيحها؛ لذلك فقد حاولت الإلمام بجوانب تاريخية

(*) – من مؤلفات النحو التعليمي – الأكثر شيوعا– التي ظهرت حاملة عنوان "النحو لوظيفي" في القرن الماضي كتاب: النحو الوظيفي، عبد العليم إبراهيم، دار المعارف، ط09، 1998، القاهرة، مصر (تعود طبعته الأولى إلى أواخر الستينيات من القرن الماضي). ومن ذلك أيضا كتاب: النحو الوظيفي، عاطف فضل محمد، دار المسيرة، ط01، 2013، عمان، الأردن.

لنظرية النحو الوظيفي والتبسيط لمفاهيمها وتقريبها من المتلقين ما تيسر السبل إلى ذلك، وأما المحاور التي تضمنتها هذه المحاضرات فهي كالآتي:

- النحو الوظيفي النشأة والتطور قديما وحديثا
- مصطلحات النحو الوظيفي
- قضايا النحو الوظيفي
- القدرة اللغوية والقدرة التواصلية
- الفروق المنهجية بين الاتجاه البنوي والوظيفي
- مبادئ النظرية الوظيفية
- البنية في النحو الوظيفي (الحملية، الوظيفية، المكونية)
- بنية الجمل وأنماطها في النحو الوظيفي
- الوظائف في نظرية النحو الوظيفي

في الأخير لا يسعني إلا أن أحمد الله العلي القدير الذي وفقني إلى إتمام هذا العمل، وهو القادر فوق عباده الذي لا حول ولا قوة إلا به. كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى طلبتي المجتهدين؛ من شنفت آذانهم بهذه المحاضرات، وكانت قلوبهم طيعة وعقولهم غير عصية في تلقيها، وأني لآمل أن أكون قد وفقت في ما رمته من إفادتهم، وتوفير مرجع يغنيهم عن كثرة المراجع وربما صعوبة حصولهم عليها.

ولله الحمد أولا وأخيرا.

د. إبراهيم براهمي

المحاضرة الأولى

النحو الوظيفي

النشأة والتطور

- تمهيد

1 - الوظيفية في الفكر اللساني الحديث

أ. المنظور الوظيفي في حلقة براغ

ب . المنظور الوظيفي في حلقة لندن

ج. المنظور الوظيفي عند اللسانين الاجتماعيين والاثنوغرافيين

2 - ميلاد نظرية النحو الوظيفي "*The Theory of Functional Grammar*"

– تمهيد

تعود أصول النظريات اللسانية المعاصرة في أغلبها إلى جهود اللساني السويسري "فرديناند دي سوسير" (1857 م– 1913م) ومقولاته المعرفية التي مثلت التأسيس الفعلي للفكر اللغوي المعاصر في جانبه النظري الابستمولوجي أو على صعيد الجانب التطبيقي المنهجي؛ ولئن قصرت أراء بعض الدارسين في جعله أبا روحيا للمدرسة البنوية وما تولد عنها من حلقات لسانية علمية في مختلف أصقاع العالم خلال القرن العشرين.

ويلاحظ الدارس الراصد لتحولات المعرفة اللسانية وتطورها في القرن الماضي ذلك التسابق المحموم في التنظير اللغوي والتأصيل المنهجي لمفاهيمه الذي نتج عنه انقسام الأبحاث اللسانية إلى اتجاهين بارزين:

أ – اتجاهات بنوية صورية انصرف اهتمامها إلى دراسة اللغة بوصفها بنية لغوية مجردة؛ تطلعت أنظارها إلى فهم الكليات اللغوية التي تحكم نظام اللغات البشرية.

ب– اتجاهات بنوية ووظيفية انصرف اهتمامها إلى وصف اللغات الطبيعية انطلاقا مما تؤديه من وظائف في المجتمعات الإنسانية مع التركيز على وظيفتها الأساسية وهي تحقيق التواصل بين الأفراد.

ويمكن التمثيل لما تحقق للاتجاهات البنيوية من انجازات معرفية بـــ" **النظرية التحويلية التوليدية**"؛ فحينما ظهر هذا الاتجاه على مصرح الدراسات اللغوية في منتصف الخمسينات، كان ذلك مثالا للتحول الجذري في الدراسات اللغوية، إذ عمل هذا الاتجاه على تأسيس ممارسات منهجية في البحث اللغوي، وتولى اللساني الأمريكي نعوم تشومسكي رائد هذا الاتجاه شرح تفاصيل هذه النظرية وتلاميذه، والمبدأ الأساس الذي انطلق منه أنه تناول اللغة على أنها نشاط عقلي محض([1])؛ يقول تشومسكي: (إن النظرية اللغوية نظرية عقلانية حيث أنها تعنى باكتشاف الحقيقة العقلية الكامنة تحت السلوك الفعلي) ([2]).

لقد تغيرت جوانب كثيرة في نظرية النحو التحويلي التوليدي، وغير تشومسكي نفسه الكثير من الأفكار، وطوّرها، ولكن الإطار الفلسفي العام للنظرية بقي على حاله ألا وهو: أن طبيعة اللغة هي طبيعة العقل نفسها، يستتبع ذلك أن الهدف من الدراسة ضمن الاتّجاه التوليدي التحويلي ينحصر في سياقه النماذج الشكلية المعبرة عن القدرات العقلية لمستعمل اللغة؛ ذلك أن المتكلم يستعمل في لغته عددا محددا من التراكيب، وبدراسة هذه التراكيب المستعملة بالفعل يكون بالإمكان التوصل إلى مجموعة متناهية من الأحكام التي تصف السلوك اللغوي الصحيح للمتكلم. والاستعمال المتكرر لهذه القواعد والظواهر يمكّن المتكلّم من إنتاج جمل لا نهاية لها، وهذه

([1]) – ينظر: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، يحي أحمد، مجلة عالم الفكر، المجلد العشرون، العدد الثالث، أكتوبر، 1989، الكويت، ص69

([2]) – ينظر: آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، نعوم تشومسكي، تر: عدنان حسن، دار الحوار، ط01، 2009، اللاذقية، سوريا، ص61

القواعد نفسها هي التي تمكن المتكلّم من الحكم على الجمل بالقَبول أو الرفض، وعلى فهم الجمل الغامضة والمزدوجة الفهم، وغير ذلك من الأمور التي ترتبط بالعملية العقلية في تمثل اللغة. وانطلاقا من هذا التحليل يمكن القول أن الاتجاه التحويلي قد اهتمّ بإبراز العلاقة بين اللغة والعقل في جانبين اثنين:

1 – المظاهر العالمية للّغة: ويتمثّل هذا الجانب الجهاز الفطري الكامن في اللّسان الذي يمكّنه من اكتساب اللّغة.

2 – فكرة البناء العميقة: فما دامت اللغة هي عامل العقل فمعنى ذلك أن هناك دائما عوامل تكمن تحتها هي عبارة عن الأشكال اللّغوية المجرّدة المختزنة في عقل الإنسان. ([1]).

والذي يهمّنا من هذا التحليل ونخلص إليه؛ أن نظرية النحو التوليدي التحويلي قد جعلت من النحو عملية عقليّة آليّة تتحقَّق عناصره بشكل آلي حينما نتَّبع القواعد الموضوعة لابتداء تلك العمليّة. و لم تعط النظريّة أي تفسير وظيفي للغة، و لم تقدم أي تبرير وظيفي لحدوث التحويلات في مراحل مختلفة لتوليد الجوانب. لقد أخرجت من الاعتبار الظروف النفسيّة، كما أهملت السياق الذي يقع فيه الكلام، واعتبرت اللّغة مجرّد نشاط عقلي. وهكذا فإنّ أهم نقدٍ يوجّه لهذه النظريّة في تفسير طبيعة اللُّغة هو أنّها جعلتها مادةً عقلانيّة، وحصرتها في كونها عمليّة آلية ميكانيكيّة ([2]).

إن هذه الاعتبارات وغيرها هي التي أسهمت في ازدهار مقاربات لغوية متعددة نظرت إلى اللغة من زوايا مختلفة؛ فربطت البنية اللغوية بالوظيفة التي تؤديها، وبالسياق الذي أنتجت فيه، وأعادت الأهمية البالغة للوظيفة التواصلية للغة؛ وهكذا نشأت في الدرس اللساني المعاصر اتجاهات لغوية أخرى؛ ومن ذلك الاتجاه الوظيفي الذي عرف تطورا كبيرا خلال القرن الماضي، وشهد تحولات واسعة من حيث التصور والرؤية؛ فمن مجرد رؤى لغوية متناثرة في الحلقات اللغوية حتى أضحى في العقد السابع نظرية لغوية تركيبية متكاملة تعرف بـــ" **نظرية النحو الوظيفي**" وتختصر رمزا" G. F " كان لها نماذجها المعيارية في العقود اللاحقة؛ فماذا يراد بالوظيفية في الفكر اللساني الحديث؟، وما هي الأسس التي انبتت عليها؟، وكيف تحلّل اللّغة؟ وما هي الجوانب التي ركّزت عليها في التحليل؟؛ ثم كيف تحولت إلى نظرية تركيبية متكاملة؛ تبحث في الكليات اللغوية؟.

([1]) – ينظر: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، يحي أحمد، مرجع سابق، ص69

([2]) – ينظر: النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، عبده الراجحي، دار النهضة العربية، د.ط، 1979، بيروت، لبنان، ص 119

1 . الوظيفية في الفكر اللساني الحديث

الوظيفية اتجاه من اتجاهات الفكر اللساني المعاصر، وهي تعنى " **بكيفيّة استخدام اللغة وبالقيمة الاتّصالية لها،** فاللغة في نظر هذا الاتّجاه **عبارة عن وسيلة اتّصال وتواصل يستخدمها أفراد المجتمع للتوصّل إلى غايات، وأهداف.** وإذا أردنا أن نبحث عن صياغة منهجيّة تمثّل جوهر اهتمام الاتّجاه الوظيفي فإنّ ذلك يتمثّل في السؤال التالي: **لماذا نستعمل اللّغة؟**([1]).

بهذه الصورة نفهم أن مصطلح ((وظيفي)) قد استخدم في الفكر اللساني الحديث بالمعنى الأكثر رواجاً للمصطلح، وتضمن (أن الأقوال اللغوية تُحلل بالعودة إلى الطريقة التي تؤدي بواسطتها إلى سيرورة التواصل) ([2]).

وضمن هذا الاتجاه يستعمل لفظ " الوظيفة" للدلالة على الغاية التي يروم المتكلم تحقيقها من خلال نشاطه اللغوي؛ وبعبارة أوضح فإن وظيفة اللغة هي الهدف الذي تستعمل من أجله اللغة في مقام تواصلي معين... ويؤكد اللسانيون الوظيفيون أهمية دراسة اللغة باعتبارها وسيلة للتواصل؛ وبالتالي فإن الأساس في التحليل اللساني هو الكشف عن الخصائص والمميزات التي تجعل عملية التواصل أمرا ممكنا ... ([3]).

وقد ذهب اندريه مارتيني André Martinet (1908م– 1999م) في كتابه " وظيفة الألسن وديناميتها" fonction et dynamique des langues" إلى القول(إن مفردات ((وظيفة))، و((وظيفي))، ((وظيفية)) يمكنها أن تفيد اللسانيين ليوضحوا اتساع الميدان الذي بمقدور تعدد الدلالات أن يغطيه بالنسبة إلى مصطلح ما. وهذا صحيح لجهة استخدامهم العام. ثمة فرق كبير بين وظيفة الوظيفيون ووظائف عالم الرياضيات. لكن ينبغي أن نميز في التطبيق اللغوي، وحتى في ذلك العائد للوظيفيين أنفسهم، بين الوظيفة بالمعنى الأعم للمفردة، وظيفة الوحدات التميزية في سياق ما، بوصفها متميزة عما يمكن أن نشير إليه على أنه طبيعتها..) ([4]).

ثم إن الجانب الوظيفي للغة ليس جانبا منفصلا عن النظام اللغوي نفسه، فتداخل الأدوار (roles) والمشاركين (participants) في النظام النحوي حسب نمط معيّن في كل لغة مرتبط ارتباط مباشر بالوظيفة التي

([1]) – ينظر: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، يحي أحمد، مرجع سابق، ص71

([2]) – وظيفة الألسن وديناميتها، اندريه مارتيني، تر: نادر سراج، المنظمة العربية للترجمة، ط01، 2009، بيروت، لبنان، ص142

([3]) – ينظر: في اللسانيات العامة تاريخها. طبيعتها. موضوعها. مفاهيمها. مصطفى غلفان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 01، 2010، بيروت، لبنان، ص80

([4]) – وظيفة الألسن وديناميتها، اندريه مارتيني، مرجع سابق، ص143

تؤدّيها الجمل في السّياقات المختلفة؛ لذلك فإنّ الاتّجاه الوظيفي يربط بين النظام اللّغوي وكيفيّة توظيف هذا النظام لأداء المعاني، ويتمثّل هذا الرّبط في ثلاثة مظاهر ([1]):

أولا- **المظهر الأوّل**: الخيارات المتعدّدة المتاحة للمتكلّم والمتمثّلة في الأبنية والتراكيب المختلفة الموجودة في لغته. إنّ كل تركيب يؤدي وظيفة مختلفة لأنّه يمكّن المتكلّم من تنظيم كتل المعلومات طبقا لظروف الكلام، فالجمل التالية مثلاً:

1 – استقبلت الأوساط الأدبيّة نبأ حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل ببالغ السرور

2 – اُستُقبلَ نبأ حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل ببالغ السرور

3 – الأوساط الأدبية استقبلت نبأ حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل ببالغ السرور

4 – نجيب محفوظ اُستقبلَ نبأ حصوله على جائزة نوبل ببالغ السّرور

تؤدّي وظائف مختلفة لأنّ كل واحدة منها تقترن بسياق مختلف، وتُستعمل في ظروف مختلفة، وانطلاقاً من هذا الفهم، فإنّ هذه الجمل الأربع لا تُعتَبَرُ مترادفةً لأنّ كل واحدة منها تركّزُ على جانب معيَّن من الحدث، وبذلك فإنّ لكل واحدة منها قوّة تعبيريّة متميّزة مُستمدّة من الدور الذي يؤدّيه كل أسلوب في الحياة الاجتماعيّة، ولنتذكّر هنا أنّ الاتّجاه التحويلي يعتبر الجمل(2-3- 4) سياقات تعبيريّة متفرّعة عن الجملة الرئيسة، ويمكن التوصُّلُ إليها بتطبيق القواعد التحويليّة على الجملة رقم (1). وأمّا التأويل الدّلالي الذي يرتبط بهذه الجمل فهو واحد في جميع الأحوال.

ثانيا- **المظهر الثاني**: هو أنّ اللّغة تمتد إلى البنى الاجتماعية بكافة أشكالها؛ فلا يمكن فصل اللغة عن الثقافة والتراث والعادات والتقاليد، إن الظّواهر الاجتماعيّة التي يرتبط بها الفرد بحكم انتمائه إلى مجتمع ما تفرضُ عليه سلوكا لغويّا معيَّنا، ويظهرُ ذلك بوضوح في أساليب التخاطب التي ينتقيها الفرد في المواقف المختلفة، فالتَّحدّث إلى رئيس، وإلى الزميل في العمل، وإلى فراش في العمل لا يتَّخذُ مجرّد أشكال لغويّة مختلفة، وإنّما نجد أنّ الأشكال اللغويّة مستمدّة من الأعراف الاجتماعيّة، ومن جانب آخر نجد أنّ الكلام يعكس الخلفيّة الاجتماعية والثقافيّة للفرد، ولذلك فوصفُنا لكلام شخص بأنّه كلام مؤدّب أو وقح يعتبرُ وصفا جماليًّا أخلاقيًّا نابعا من اعتقاداتنا الاجتماعيَّة([2]).

([1]) – ينظر: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، يحي أحمد، مرجع سابق، ص71

([2]) – المرجع نفسه، ص72

إن البنية الاجتماعيّة تنعكس في التراكيب اللّغويّة التي نستعملُها، ونجد هذا الانعكاس كذلك في المصطلحات الدالة على صلة القرابة وفي مصطلحات الألوان والتعبيرات المشتقّة منها، ونجدها فوق كل ذلك في المستويات الأسلوبية (النمط الخاص أو الفردي) واللّكنة (طريقة النطق) التي يتحدّث بها الشخص تعكس مظهراً اجتماعيًّا، والتنغيم كذلك يرتبط بهذا المجال ارتباطا واضحا، حيث أنّه بإمكاننا أن نتعرَّف على الفئة الاجتماعيّة التي ينتمي إليها الشَّخص من خلال طريقة تحدُّثه.

ثالثا – **المظهر الثالث:** تضافر العناصر؛ بمعنى أن عناصر اللغة مجتمعة تساهم في أداء الفكرة التي يريد المتكلم توصيلها، والأمر هنا يشبه عمل السلك الكهربائي؛ فالسلك الكهربائي الواحد يتكون من مجموعة أسلاك شاعرية دقيقة ولا نستطيع عندئذ أن نقول أن سلكا بعينه مسؤول عن توصيل الكهرباء، فهذه الوظيفة تقوم بها هذه الأسلاك الدقيقة كلها، و هكذا الأمر بالنسبة للغة فلا يمكن أن يستقل عنصر أو مستوى لغوي بأداء وظيفة، فالوحدة الصوتية مثلا: تستطيع أن تؤدي وظيفة صوتية من خلال وحداة أخرى تشكل الكلمة ذات الدلالة المفيدة في المعجم، والكلمة بدورها تؤدي وظيفتها ضمن نظام نحوي تركيبي([1]).

إن اختيار وجهة النظر الوظيفية – بالنسبة للوظيفيين– يستمد من الاعتقاد الراسخ بأن كل بحث علمي يتأسس على إثبات ملائمة ما، وأن الملائمة التواصلية هي التي تسمح، بشكل أفضل فهم طبيعة دينامية اللغة. ستصبح كل السمات اللغوية، إذاً قبل سواها مبرزة ومصنفة استنادا إلى الدور الذي تلعبه في إيصال الخبر. وإذا كان على لسان ما أن يرضي دوما احتياجات التواصل، وكما إن هذه الاحتياجات تخضع لتغيرات متسمرة فينبغي على أداة التواصل"– التي هي لسان ما– أن تتلاءم مع شروط جديدة وهذا لا يعارض مفهوم لسانٍ ما بوصفه بنية، ولكنه يتضمن أن هذه البنية تُطرحُ باستمرار على البحث ثانية، ويثبت توازن على الدوام بين الاحتياجات التواصلية والعادات المتوارثة، وقد رأينا أنه ليس تناقضا قطعا القول أن لسانا ما يتغير لأنه يشتغل. ([2]).

وانطلاقا من هذه التصور اللساني الذي لا ينظر إلى اللغة فقط بوصفها بنية مجردة تشتغل بمعزل عن الشروط الخارجية للاستعمال، بل بالربط بين اللغة وأبعادها التواصلية الاجتماعية، فقد ظهرت أبحاث لسانية متعددة خلال القرن العشرين، أسهمت في ازدهار المقاربة الوظيفية للدرس اللساني وأعطت لها الصدى والذيوع في أرجاء المعمورة. وهو ما سأسعى هنا إلى استعراضه من خلال بيان بعض جوانب الإطار التاريخي للوظيفية في التفكير اللساني الحديث وما عرفته من تطور مع مختلف الحلقات اللغوية وصولا إلى نظرية النحو الوظيفي.

([1]) – ينظر: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، يحي أحمد، مرجع سابق، ص74

([2]) – وظيفة الألسن وديناميتها، اندريه مارتيني، مرجع سابق، ص143

أ. المنظور الوظيفي في حلقة براغ

تعد أعمال اللسانيين في حلقة براغ (cercle linguistique de Prague) أفضل ما يمثل الدراسة الوظيفية للغة ضمن الحلقات البنوية؛ وقد تركزت هذه الأبحاث على بعث العلاقة بين بنية التراكيب اللغوية والعناصر السياقية المصاحبة لها من نحو(المتكلم، والمخاطب، طبيعة الحدث اللغوي، قصدية الخطاب اللغوي...)، وهي العناصر التي أهملتها المقاربة السوسيرية التي ركزت فقط على البنية الداخلية للغة، دون النظر إلى البيئة اللغوية التي أنتجت بها.

وحتى تتضح لنا طبيعة مصطلح المنظور الوظيفي (Functional Sentence Perspective) (من المفيد أن نذكّر هنا أنّ اللغة في منظور حلقة براغ لها ثلاث مستويات:

1 – المستوى النّحوي (ويندرج فيه الصرف كذلك)

2 – المستوى الدّلالي

3 – المستوى الكلامي (Organisatuon of ulterance)

والمستوى الكلامي هو الذي يبيّن كيف يتفاعل المستويين الآخرين في عمليَّة التَّواصل اللُّغوي، وضمن نطاقه برزت فكرة المنظور الوظيفي في الجملة، ويقوم التّحليل فيه على أساس القيمة الاتّصاليّة للُّغة) ([1]).

لقد قام المنظور الوظيفي للجملة عند أصحاب هذه الحلقة على مبدأ؛ أن تحليل الجملة – وإن كان يردها إلى مسند ومسند إليه– لا يرتبط بالمعنى النحوي لطرفي الإسناد، أي: ليس شرط المسند أن يكون خبراً أو فعلاً، ولا شرط المسند إليه أن يكون مبتدأً أو فاعلاً، بل يتحدد كل منهما استنادا إلى ما تثيره كل كلمة من كلمات الجملة من الانتباه. فالمسند، هو المعنى المألوف الذي لا يثير ذكره اهتمام المتكلم أو السامع. والمسند إليه هو المعنى غير المألوف المراد إفادة السامع بمعرفته. وتمثيلا لذلك؛ فإن قيل لك:

– أين شاهدت النمر؟.

– فقلت: شاهدتُ النّمرَ في الغابةِ.

فالفعل (شاهدت) عنصر ثانوي انتقالي، و(النمر)، وإن كان مفعولاً به؛ هو المسند لأنه معروف دلَّ عليه سؤال السائل، و(في الغابة) هو المسند إليه، وإن لم يكن مبتدأً ولا فاعلاً، لأنه المعنى المقصود تحديده بالسؤال،

([1]) – الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، يحي أحمد، مرجع سابق، ص75

وهو أهم ما في هذا التركيب، فالجملة هنا لا تحلل معزولة عن السياق الذي وردت فيه؛ بل تحلل على ضوء ما يكتنفها من عبارات تحدد نواتها. فلو لم تسمع السؤال عن مكان النمر، ما أدركت أن الغابة الواردة في الإجابة بؤرة الجملة ونواتها، مع أن الغاية ليست المسند ولا المسند إليه وفق المفهوم النحوي التقليدي ([1]).

وقد أعطى "اندريه مارتيني" نوعا معينا من التراكيب مكانة في نظريته حيث جعله النواة الأساسية للجملة؛ وأقل ما يمكن أن يكون عليه الكلام وأقل ما يفيد ويتمثل في التركيب الإسنادي؛ وهو ما نجده في العبارة الآتية: "يلعب أولاد الجار في الحديقة" les enfants (du voisin) jouent (dans le jardin).، فالتركيب المكون من ((الأولاد يلعبون أو يلعب الأولاد)) Les enfants jouent هو نواة التركيب الإسنادي الذي يشكل أساس الجملة لا يمكن أن يزول وإذا زال فسدت الجملة وهو تركيب مستقل لأنه يدل بنفسه على وظيفته؛ أما بقية العناصر فمتعلقة به وهي فضلات تضاف لتحديد الزمان والمكان أو لتخصيص أحد عناصر الإسناد فإذا حذفناها لا تختل الجملة إذ أن الوقف ممكن بعد التركيب الإسنادي ([2]). فمحور التركيز في الحدث الكلامي إذاً ضمن هذه العبارة يتجه صوب عنصرين لغويين هما "الأطفال، والحديقة".

وضمن نفس النهج في تحليل التركيب الإسنادي نقف عند المثال الأتي: (hier il y avait fête au village) أي؛ " أمس أقيم حفل في القرية " فكلمة " hier" لها دلالة مستقلة، وتركيب الجار والمجرور " au village " له استقلال عن مضمون الجملة الأساسي، ولذلك يمكن الاستغناء عن كلمة " hier" وتركيب " au village " دون أن تمس الجملة الأساسية. فقولنا: " il y avait fête " هو التركيب الإسنادي الذي لا يمكن اختصاره، إذ لا تستطيع كلمة: "fête " أن تؤدي وحدها خطابا لغويا.([3]).

ومع ذلك فإن مارتيني يعطي كلمة" fête "؛ أهمية بالغة لأنها تقدم فحوى الكلام أي المحمول، لكن هذا المحمول لا يكون حاضرا إلا عن طريق أداة تحصله، أي تجعله على قيد الوجود؛ وهكذا يتبين لنا أن مارتيني ركز على المحمول أي فحوى الكلام الذي لا يمكن اختصاره، لكنه اقر بضرورة إيجاده عن طريق ما دعاه بأداة التحصيل أما ما سوى ذلك فهو من الإلحاق ([4]). ذلك ما يتضح مثلا من قوله (ويقودنا ذلك إلى أن اصغر قول

([1]) – ينظر: في علم اللغة، غازي مختار طليمات، دار طلاس، ط02، 2000، دمشق، سوريا، ص 191

([2]) – ينظر: مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة، ط02، 2006، الجزائر، ص 142.

([3]) - Eléments de Linguistique générale, André Martinet, ARMAND COLIN, Quatrieme edition,1999, paris, France. P123.

([4]) – ينظر: مبادئ في اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر، ط03، 2008، دمشق، سوريا، ص 302.

لابد أن يشتمل على عنصرين يشير أحدهما إلى مضمون أو حدث ويشد الانتباه إليه ونسميه المسند، ويشير الآخر إلى مشارك ايجابي أو سلبي ونسميه المسند إليه ويكون تقويم دوره أيضا على هذا الأساس)([1]).

فهناك عناصر ثلاثة يمكن أن تحلل في الجملة؛ وهي:

1 – العنصر المركزي وهو المحمول(فحوى الكلام) أي المسند.

2 – أداة التحصيل (غالبا ما يقوم الفاعل بالتحصيل في اللغات الهندية أوروبية) أي المسند إليه.

3 – أنماط الإلحاق، أي التكملة، نحو النعت والعطف والإضافة والظرف([2]).

وبناء على هذا لم يبق التحليل معتمدا على الكشف على الإسناد: المبتدأ والخبر أو الفعل والفاعل، بل أصبح التحليل معنيا بالكشف عما في الوحدة اللغوية من قدرة فعالة على الاتصال اللغوي (Communicative Dynamisme) وهنا تختار الكلمة المثيرة فتجعل النواة المركزية المشعة في الجملة([3]).

ومن أبرز لغويي حلقة براغ الذين طوروا هذا المصطلح نجد "جون فرباس Jan Firbas" الذي اتخذ المنظور الوظيفي للجملة أساسا للتحليل وحدّده بوضوح على النّحو التّالي: المقصود بالمنظور الوظيفي للجملة هو ترتيب عناصر الجملة بالنّظر إليها في ضوء السّياق الفعلي([4]). ويقدّم مفهوم وظيفيّا جديدا يسمّيه ((دينامية الاتصال Communicative Dynamisme))، وهي خاصيّة من خاصيّات الاتصال تتجلّى في سياق تنمية المعلومات الّتي يراد التّعبير عنها، ذلك أنّه في عمليّة الاتصال اللّغوي تتعدّد العناصر الّتي تدخل في تكوين الجملة، وهذه العناصر لها إمكانيّة متفاوتة في إثراء معلومات المستمع؛ فبعضها يحتوي على معلومات يعرفها المستمع بالفعل– أو يمكن استعادتها من خلال السّياق– وبعضها يحتوي على معلومات جديدة وحينما ننظر إليها من هذه الزّاوية نجد أنّ قدرتها على تحريك الحدث الكلامي متفاوتة، وهذا انعكاس للطّبيعة الحركيّة (الدّينامية) لعمليّة الاتصال اللّغوي، وهنا نرى أنّ تحديد المسند والمسند إليه يكون على أساس وظيفتهما في الاتصال اللّغوي (حينما يتغيّر موضع المسند والمسند إليه لضرورة تواصليّة) بينما التّحديد السّابق كان يربط

([1]) - Eléments de Linguistique générale, André Martinet, P124.

([2]) – ينظر: مبادئ في اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر، ط03، 2008، دمشق، سوريا، ص 302.

([3]) – ينظر: في علم اللغة، غازي مختار طليمات، مرجع سابق، ص 192

([4]) – ينظر: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، يحي أحمد، مرجع سابق، ص75

بينهما بشكل ما بعنصر المعلومات، لكي نتمكّن من تحديد هذه الوحدات في الجملة فإنّه يكفي أن نأخذ بعين الاعتبار العوامل الثّلاثة التّالية:

أ – نسق الجملة؛ أي كيفيّة ترتيب الأجزاء فيها.

ب – السّياق العام للحدث اللّغوي

ج – السّياق الدّلالي الخاص للجملة (البنية الدلالية) ([1]). هذا يبيّن لنا أنّ دينامية الاتصال ليست نظاما منفصلا ولكنّها وليدة عدّة عوامل مجتمعة. والجمل الآتية في البيت الشعري توضح ذلك؛

السياق: هل كل الناس ظالمون؟

الجملة : قال المتنبي: (من بحر)

والظلم	من شيم النفوس	فإن تجد	ذا عفـــــــــة	فلعلة	لا يظلم		
مسند	مسند إليه	وحدة انتقالية	مسند	مسند إليه	وحدة انتقالية		

السياق: أين رمى الفراش الأوراق؟

الجملة: في سلة المهملات	رمى	الفراش	الأوراق.	
مسند إليه	وحدة انتقالية	مسند	مسند إليه	

قد يتبادر إلى الذّهن أنّ تحليل "فرباس" تحليل ذوقي انطباعي وليس تحليلا مبنيا على قواعد مقنّنة، والواقع أنّ "فرباس" شأنه شأن سائر لغويّي مدرسة "براغ" لم يكن يميل إلى التّقنين الجامد للمظاهر الوظيفيّة للّغة، والواضح في مسلك "حلقة براغ" أنّها لم تهتم بالتّقنين أو بجعل الدّراسة اللّغويّة دراسة علميّة كما كان الشّأن في المدرسة الأمريكيّة، فقد كان اهتمام مدرسة براغ منصبّا بوجه خاص على الكيفيّة الّتي تزوّد بها اللّغة المتكلّم بعدد من الأساليب والطّرائق التّعبيريّة مناسبا لظروف اجتماعيّة مختلفة، والجانب الانطباعي أو الشّخصي أمر لا مفرّ منه في التّعامل مع لغة النّص أو اللّغة الّتي تستعملها كوسيلة اتّصال لأنّ مجال التّحليل في هذه الحالة أوسع من مجال تحليل الجملة نحويّا ومع ذلك فإنّ فرباس لم يترك الأمر للذّوق وحده بل إنّه زوّدنا بالجوانب النّظريّة الكفيلة بمساعدتنا في تحديد العناصر الّتي تساهم في تشكيل الجمل أثناء عمليّة الاتصال([2]).

([1]) – ينظر: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، يحي أحمد، مرجع سابق، ص78

([2]) – المرجع نفسه، ص81

ب. المنظور الوظيفي في حلقة لندن

عرف البحث اللساني في انجلتر تطورا متميزا مع نهاية القرن التاسع الميلادي؛ ويتضح ذلك مع الجهود العلمية البارزة التي عملت على إنماء نظام اللغة الانجليزية وقواعدها لجعلها لغة قياسية لها استعمالها الدائم في المجتمع الانجليزي، وامتدادته في مستعمراته بإفريقيا وآسيا، وقد تطلع عدد من الدارسين الانجليزي إلى فهم لغات المستعمرات وكيفية أدائها لأدوارها في التواصل الاجتماعي العام. ومع مطلع القرن العشرين ازدهرت الدراسات اللغوية المعجمية والتركيبية؛ وتركزت أبحاث الدارسين على الصوتيات العامة، والصوتيات الوظيفية هادفة إلى دراسة وتطبيق "النطق الصحيح received pronunciation" للغة الإنجليزية وتعليمه، ونشره في العالم فيما وراء الحدود الجغرافية والاجتماعية لبريطانيا([1]).

وقد ارتبط ظهور حلقة لندن- في ظل هذا الواقع اللغوي- بجهود عدد من اللسانيين الانجليز المتميزين بأبحاثهم العلمية التي شملت دراسة اللغة الانجليزية في مختلف مستوياتها، ويعد"جون فيرث J.R.Firth" (1890 - 1960) رائد هذه الحلقة بما قدمه من أبحاث لسانية سعى بها إلى التميز في التأسيس لمسلك علمي جديد في البحث اللساني المعاصر، يتجاوز به ما وقعت فيه كثير من النظريات اللغوية المزامنة له؛ من التجريد النظري الخالص للغة، ومن فصل للغة عن سياقها الاجتماعي والثقافي الحاضن لها. وذلك انطلاقا من هذا تصوراته المعرفية الوظيفية، ومن تجاربه الشخصية في تعليم اللغة الانجليزية في بريطانيا ومستعمراتها في آسيا ([*]).

اعتمد فيرث على عمل الانثروبيولوجيين وتفكيرهم؛ وبشكل خاص على تفكير " ب. مالينوفسكي B. Malinowski" الذي طور وجهته لمهمة ترجمة الكلمات والجمل المحلية في النصوص الاثنوغرافية من جزر "تروبرياند Trobriand" إلى انجليزية مفهومة([2])، فطور فيرث نظريته **"لسياق الحال"** والتي وفقا لها ترجع معاني المنطوقات (التي تؤخذ كمادة أولية) وكلماتها وعباراتها المكونة لها، إلى وظائفها المختلفة في سياقات الحال

([1]) – ينظر: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ر.هـــ. روبنز، تر: أحمد عوض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ع227، نوفمبر 1997، الكويت، ص348

([*]) – تذكر الأبحاث المؤرخة لسيرة اللساني جون فيرث: أن له تجارب عملية علمية في تدريس اللغة الانجليزية وتتبع أصواتها وظواهرها الأدائية (التطريزية) أثناء أدائه للخدمة العسكرية في مستعمرات الإمبراطورية البريطانية في آسيا (في البنجاب تحديدا)، قبل أن يصبح فيما بعد أستاذا محاضرا بجامعة لندن، وتبرز جهوده بالأخص مع مدرسة "الدراسات الشرقية والإفريقية (soas)". للتوسع ينظر: مدارس اللسانيات التسابق والتطور، جفري سامسون، تر: محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، ط01، 1417هـ، الرياض، السعودية، ص225

([2]) – اللغة عند" مالينوفسكي" (ليس ((قولا)) بل ((عملا))؛ وهي باستعمالاتها البدائية حلقة اتصال في نشاط بشري جماعي..إنها نمط من العمل وليست أداة للتأمل.. والكلمات أدوات؛ و((معنى)) الأداة يكمن في استعمالها). للتوسع ينظر: مدارس اللسانيات التسابق والتطور، جفري سامسون، مرجع سابق، ص225

الخاصة التي تستعمل فيها. وسحب فيرث هذه المقاربة على اللغة بشكل عام بمعالجته للوصف اللغوي كله باعتباره تحديدا للمعنى، وبذلك يمد تطبيق معادلة «المعنى هو الوظيفة في السياق » ليغطي التحليل التركيبي والفونولوجي؛ وعلى سبيل المثال فإن تحديد الاستعمالات النحوية لصيغة الحالة في لغة كاللاتينية هو تحديد لوظيفتها في السياقات التركيبية المختلفة، كما أن تحديد التباينات الفونولوجية والإمكانات السياقية لصامت مثل[b] أو[n] في الانجليزية هو تحديد لوظيفته في السياقات الفونولوجية المختلفة، وفي سياق النظام الفونولوجي للغة.([1]).

وقد نظر فيرث بذلك إلى المعنى على أنّه نتيجة علاقات متشابكة متداخلة، فهو ليس وليد لحظة معيّنة فقط بما يصاحبها من صوت وصورة، ولكنه أيضا حصيلة المواقف الحيّة التي يمارسها الأفراد في المجتمع، فالجمل تكتسب في النّهاية دلالاتها من خلال ممارسات الأحداث؛ أي من خلال سياق الحال، ولذلك اقترح فيرث أن تدرّس اللغة كجزء من المنظومة الاجتماعية([2]).

يبدو المنظور الوظيفي عند فيرث في دراسته للغة وتحليلها متجاوزا البنية إلى وضع اللغة ضمن سياقها الاجتماعي، ولكي يتم تحديد معنى الجملة حسب مقتضيات سياق الحال ينبغي الأخذ بعدد من العناصر يمكن أن نعتبرها **منظورا وظيفيا لتحليل الجملة عند فيرث**: يتكون هذا التحليل اللغوي من العناصر الآتية:

1 – الحقائق المتعلقة بالمشاركين في الحدث اللّغوي: كأن نذكر مثلا إذا كان المشارك طفلا أو رجلا ناضجا ذا مكانة اجتماعيّة مرموقة أو امرأة، ويندرج هذا تحت عنوان؛ الخلفيّة الثّقافيّة للمتكلّمين (الحقائق المتعلّقة بالمشاركين).

2 – الأحداث اللّغويّة نفسها: أي العبارات المنطوقة بالفعل وكيفيّة نطق الجمل من حيث التّنظيم والنّبرة والتّقطيع، وما يصاحب هذه المصطلحات اللّغويّة من مظاهر لغويّة غير منطوقة، كحركة اليدين وإيماءات الوجه.

3 – الأمور المادية التي لها صلة مباشرة بالحدث اللغوي (relevant objects)

4 – أثر العبارات اللغوية المنطوقة فعلا: أي ما يستتبع النّطق من سلوك اعتمادا على العبارات المنطوقة، فقد تؤثر جملة ما على سامع ولكن لا تؤثر على سامع آخر لاختلاف العادات والتّقاليد([3]).

([1]) – ينظر: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ر.هـــ. روبنز، مرجع سابق، ص349

([2]) – ينظر: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، يحي أحمد، مرجع سابق، ص81

([3]) – ينظر: المرجع نفسه، ص83

لم تسلم هذه الآراء لـــ"جون فيرث" من النقد؛ ومن ذلك أن العنصر الثالث – أي الأمور المادية التي لها صلة مباشرة بالحدث اللغوي– في هذا النموذج التحليلي لا يمكن تحديد قوائمها بعدد محدد مما يصعب عملية حصرها؛ وهو ما دعا بعض الدارسين إلى توجيه النقد اللاذع لهذه النظرية الوظيفية التي أساسها البحث في المعنى وسياق الحال.

هذا ما دفع أتباع فيرث ؛ والذين وصفوا بـــ"الفيرثيون الجدد Neo Firthians" إلى إثراء هذه التصورات اللغوية من خلال تقديم الشروح والنماذج التطبيقية لهذه المبادئ، ومن هؤلاء الأتباع" مايكل هاليداي Michael Hailliday"(المولود 1925م)، والذي اشتغل أستاذا للسانيات في جامعة لندن، ثم انتقل إلى جامعة سيدني، وقد حقق التحليل النحوي في مدرسة لندن على يده تجاوزا كبيرا لما قدمه أقرانه وأسلافه، ليعرف بـــ" النحو النظامي systemic grammar"، ومصطلح النظام استخدمه قبله "جون فيرث" وهو عنده:(مجموعة من الاختيارات المانعة لبعضها بعضا (mutually exclusive) وتمارس عملها في البنية اللغوية، والنحو شأن الصوتيات الوظيفية يهتم بالدرجة الأولى بطبيعة هذه الاختيارات المختلفة ومضمونها التي يجريها المرء – سواء أكانت تلك الاختيارات تتخذ عن وعي أو بلا وعي– عند اتخاذه قرارا بنطق جملة معينة من العدد غير المحدود من الجمل التي توفرها اللغة.) ([1]).

لقد تمثل التطور الذي أحدثه "م . هاليداي" في أمرين أساسين:

– أحدهما: التوجه الوظيفي؛ وقد جعل بعض الدارسين يطلق على نموذج هاليداي في هذه المرحلة " النحو النظامي الوظيفي systemic Functional grammar ".

– الثاني: دمج الاتجاه الوظيفي في الاتجاه الاجتماعي مع اهتمام متنام بالظواهر الدلالية. ولهذا رأى بعض الباحثين أن ما جاء به هاليداي في العقد السابع من القرن العشرين من الممكن أن يطلق عليه" النحو النظامي الوظيفي ذو التوجه الدلالي semantically oriented systemic functional grammar".([2]).

وقد نتج عن هذا فيما تلا ذلك من سنوات نموذج وظيفي غير منبت الصلة عن نحوه النظامي؛ ضمنه هاليداي كتابه الذي أصدره سنة 1985م بعنوان "مدخل إلى النحو الوظيفي An Introduction to Functional Grammar" وتميز به عن نموذجين وظيفيين آخرين هما: " النحو الوظيفي" الذي طوره اللساني الهولندي "سيمون ديك Simon Dik" – وهو موضوع هذه المحاضرات – خلال فترة السبعينيات والثمانينيات

([1]) – مدارس اللسانيات التسابق والتطور، جفري سامسون، مرجع سابق، ص242

([2]) – علم اللغة النظامي. مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي، محمود أحمد نحلة، دار ملتقى الفكر، ط02، 2001، الإسكندرية، ص117

والتسعينات من القرن الماضي، و" النحو الوظيفي التوحيدي" لكاي .م M . Kay"(1984 - 1985)، وإن جمع بينها التأثر بحلقة براغ، وعلى الرغم من أن النحو النظامي عند هاليداي كان يشتمل على مكونات وظيفية "Functional components"، وعلى الرغم من إن النظرية التي تكمن خلف نحوه الوظيفي "نظرية نظامية"؛ فقد حصر اهتمامه في هذه المرحلة الثالثة من التطور في الجانب الوظيفي من النحو؛ أي في تفسير تجسيد الأنماط النحوية للوظائف، وصلة ذلك على وجه الخصوص بتحليل النص ([1]). وقد اقترح هاليداي أسلوبا آخر لتحديد العناصر السّياقيّة الّتي تلعب دورا في بيان معنى النّص وتحليله، وهذا الأسلوب يوظّف ثلاث مصطلحات على وجه التّحديد:

1- الحقل: وهو المجال الطّبيعي (الاجتماعي) الذي يكون مسرحا للنص، فيشمل بذلك النّشاطات المختلفة، والأهداف الخاصّة الّتي تستعمل اللّغة من أجل تحقيقها.

2 – التّوجّهات: ويشمل العلاقات ما بين المشتركين في الحدث اللّغوي؛ وضع كلّ مشارك، والدّور الّذي يؤدّيه كلّ مشارك.

3 – النّمط: هو الوسيلة اللّغويّة المتّبعة في النّص أو الحدث اللّغوي، ويشمل الأسلوب اللّغوي، والوسائل البلاغيّة.

إنّ النّحو النّظامي بهذه الصورة مبني على أساس تعدّد وظائف اللّغة، وهذا المبدأ ينعكس على النّظام اللّغوي، فنجد أنّ كلّ تركيب أو بناء لغوي يؤدّي وظيفة مختلفة؛ وهذا يعني أنّ مستخدم اللّغة يجد أمامه من الوسائل التّعبيريّة ما يمكّنه من التّعبير عن أفكاره ومشاعره. هذه الوسائل ليست في الواقع سوى الاستعمالات الفعليّة للنّظام اللّغوي، ومن ثم فإنّه من الصحيح أن نقول إنّ الوسائل التّعبيريّة المتاحة للمتكلّم أو الاستعمالات الّتي من الممكن أن يلجأ إليها مستعمل اللّغة تكون في حدود الإمكانيّات اللّغويّة الموجودة في اللّغة. هذه الإمكانيّات هي عبارة عن خصوصيّات كلّ لغة. ([2]).

وأخيرا فإن بؤرة الاهتمام عند هاليداي هي تحليل "اللغة في الاستعمال language in use"؛ وعلى هذا فالنحو الوظيفي عنده نحو طبيعي بمعنى أن كل شيء فيه يمكن إيضاحه بالإحالة إلى طبيعة الاستعمال اللغوي، وهو على ذلك ليس نحوا شكليا بحال، بل هو نحو استعمالي، الوظيفة فيه لا ترادف الشكل بل الاستعمال([3]).

([1]) – ينظر: علم اللغة النظامي. مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي، محمود أحمد نحلة، مرجع سابق، ص 117

([2]) – ينظر: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، يحي أحمد، مرجع سابق، ص89

([3]) – ينظر: علم اللغة النظامي؛ مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي، محمود أحمد نحلة، مرجع سابق، ص 118

ج. المنظور الوظيفي عند اللسانين الاجتماعيين والاثنوغرافيين (*)

ازدهرت الأبحاث اللسانية والاجتماعية والاثنوغرافية في العقد السابع من القرن الماضي؛ وحاولت أن ترسم مسلكا وظيفيا في دراسة اللغة، بوصفها بالدرجة الأولى حدثا اجتماعيا ثقافيا؛ يعبر عن جماعة لغوية لها طرائقها في التعبير اللغوي وأساليبها في بناء العبارة اللغوية، ومن جانب آخر باعتبار اللغة جانبا مهما من الوقائع الاتصالية المعبرة عن ثقافة المجتمعات الإنسانية. وهذا يعني عدم التركيز في دراسة اللغة على القدرة اللغوية وأدائها فحسب؛ بل من خلال البحث في مفهوم جديد هو "القدرة التواصلية" الذي ابتكره "ديلي. هايمز".

كان الأساس الذي بنى عليه "د.هايمز D. Hymes " منهجه: هو أن الكلام يتمركز أو يتحدد نظاميا داخل سياقه الثقافي الاجتماعي" socioculture context"، ومن هنا يبدو الاهتمام الجوهري للاثنوغرافيا بالوقائع الاتصالية"communicative events" في المجتمعات والثقافات هو استحضار بعض الاختصاصات اللغوية الاجتماعية: فالطبقة الاجتماعية، والسلالة، والعمر، والجنس، والحالة الثابتة، والدور، وعوامل اجتماعية أخرى تبدو مرتبطة بتنويعات من الأبنية النحوية والأساليب البلاغية والسردية وأبنية خطابية أخرى ([1]).

وبيّن "د.هايمز D. Hymes " أن المنهج السديد ينبغي له أن يميز بين أربعة مظاهر للكفاءة، وأن يقوم على فحصها وهذه المظاهر هي:

- الإمكانية المطردة "systematic potential"
- المناسبة "appropriateness"
- التوارد " occurrece"
- إمكانية الإجراء"feasibility" ([2]).

تكشف هذه المظاهر أن قدرة المرء على اللغة تنبع كلها من **استعمال اللغة** وهو ما يتضح من العناصر الآتية:

(*) - تعنى أبحاث اثنوغرافيا الاتصال"ethnography of communication" بدراسة خصائص الوقائع الكلامية"speech events" في أوضاع اجتماعية خاصة؛ إنها تدرس نماذج من السلوك الاتصالي ملحوظة أو مدونة، والتي تمثل نماذج تحتذى وتحمل أهمية لدى أعضاء الجماعة الكلامية المعنية للتوسع ينظر: العبارة والإشارة؛ دراسة في نظرية الاتصال، محمد العبد، مكتبة الآداب، ط04، 2010، القاهرة، مصر، ص48

([1]) - ينظر: العبارة والإشارة؛ دراسة في نظرية الاتصال، محمد العبد، مرجع سابق، ص48.

([2]) - ينظر: المرجع نفسه، ص49

- إلى أيّ حدّ يكون الشيء **ممكنا**" possible" (نحويّا): وهذا المظهر يشير إلى إمكانيّات اللّغة وانفتاحها.

- إلى أيّ حدّ يكون الشيء **معقولا** "feasible"استنادا إلى وسائل التّنفيذ المتاحة، والتّركيز هنا على الجوانب النّفسيّة الّتي نستخدمها في بناء اللّغة مثل الذّاكرة، الفهم، التّخطيط الذّهني للكلام، عوائق الفهم، الاستيعاب..

- إلى أيّ حدّ يكون الشيءُ **مناسبا**" appropriate": وذلك ضمن السّياق الذي يستعمل فيه هذا الشيء، وهذا يشير إلى فكرة الاستعمالات اللغويّة، والأساليب اللغويّة الّتي يلجأ مستخدم اللغة إليها في ظروف مختلفة.

- إلى أيّ حدٍ يكونُ الشيء قد **أنجز** (اللّغة من حيث الأداء): أي ماذا ينطق المتكلّم من عبارات وجمل وماذا يستتبع هذا النّطق من سلوك، وهذا المظهر يتكلّم عن محوري المتكلّم والتلقّي في آن واحد؛ ماذا يستطيع أن يقوله الفرد المتكلّم، وماذا يستطيع أن يتقبّله كمتلقّي؟([1]).

الصّورة النّهائيّة الّتي يمكن أن نخرج بها بعد قراءتنا لهذه المظاهر الأربعة هي: أنّ مفهوم القدرة لم يعد مقصورا على المعرفة البحتة بقواعد اللّغة، وتوليد عدد لا متناهي من الجمل، وإنّما أدخلت فيه اعتبارات وظيفيّة جعلته يشمل أمورا أخرى من بينها:

أوّلا: أنّه يفسح المجال لعنصر النّيّة أو القصد في التّعبير، فقد يستعمل المتكلّم في جملة ما جملة تكون حصيلة مفرداتها أنّها جارحة أو تنطوي على نهاية، ولكن المتكلّم يقصد بها المزاح أو الدّعابة، وذلك كأن يقول أحدنا لصديق أو زميل له في العمارة لتوّه قد صعد السلّم و هو يتنفّس بقوّة: "هكذا العجائز عندما يصعدون السلّم يحتاجون لساعة حتّى يلتقطوا أنفاسهم" ولذلك فإنّ الأمور ستنقلب لو أنّ المستمع حمل الكلام محمل الجدّ.

ثانيا: أنّه يصرح بوجود مهارات أخرى يتمتع بها المتكلّم والمتلقي بحكم أنّهما أفراد في بيئة اجتماعية ثقافية معينة، مثل: مهارة الاستماع، إظهار الكياسة والأدب، والرّغبة في الإبقاء على مودّة العمل وزمالته.

ثالثا: أنّه يؤكد على أهمية التّقاليد الاجتماعية والموروثات الشّعبيّة في استعمالنا للغة، وفهمنا وتحليلنا لها.

والملاحظ في اتجاه هايمز أنّه لا يقترح نموذجا لغويّا يمكّننا من الاستفادة من هذه الملامح الاتصالية في التّحليل كالذي وجدناه في مدرسة براغ ومدرسة لندن مثلا، ولذلك فإنّ النّموذج الوظيفي الذي يقدمه عبارة عن مقترحات عملية في الجانب الدّلالي على وجه الخصوص، ومن الممكن توظيف النّموذج في مجال تحليل النّصوص، وفي هذا المجال نجد أنّ آراء هايمز تلتقي مع آراء هاليداي التقاء واضحا([2]).

([1]) - ينظر: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، يحي أحمد، مرجع سابق، ص94

([2]) - ينظر: المرجع نفسه، ص95

3 – ميلاد " نظرية النحو الوظيفي *The Theory of Functional Grammar*"

ارتقى المنحى الوظيفي في الفكر اللساني الحديث من حلقة لغوية إلى أخرى؛ ومن مرحلة إلى أخرى حتى حصل ذلك التراكم المعرفي له في الدرس اللساني المعاصر؛ ولعلنا قد لمسنا من خلال المباحث السابقة ما عرفه هذا المنحى من تطور من حيث الرؤية والمنهج تجلى في تلك الأعمال اللسانية المتلاحقة؛ التي نقضت في جانب كبير منها فصل البنية عن السياق، وعزل اللغة عن المجتمع، وتجريد اللغة من وظيفتها الأساسة ألا وهي الوظيفة التواصلية المؤشرة عن أبعاد الحدث اللغوي وجوانبه المختلفة.

وفي أعقاب ما قدمته هذه الحلقات اللغوية من أبعاد منهجية وتنظيرية للوظيفية في الدرس اللساني المعاصر، ظهرت" نظرية النحو الوظيفي *The Theory of Functional Grammar*" – يرمز إليها اختصارا (*F.G*)– التي استطاعت أن تستثمر في الانجازات المعرفية لهذه الحلقات من أبحاث علمية لسانية شملت مختلف مستويات النظام اللغوي؛ وفي الانطلاق من هذا انجازات هذه الحلقات في إرساء جهاز مفاهيمي مستقل؛ لنظرية لغوية واصفة للغات الطبيعية.

وبالنظر إلى الإطار التاريخي لهذه النظرية؛ فقد نشأت نظرية النحو الوظيفي في أواخر سعينيات القرن الماضي على يد مجموعة من الباحثين في جامعة أمستردام، برئاسة الباحث اللساني "سيمون ديك Simon Dik"؛ وهو لساني هولندي من مواليد 06 سبتمبر 1940 بمدينة "ديدلن Delden " بهولندا، اشتغل مدرسا للسانيات العامة في جامعة أمستردام بين عامي 1969 و1994، وخلال هذه الفترة – الخمسة والعشرين – طوّر نظرية النحو الوظيفي التي كان قد وضع أسسها الأولى في أطروحته التي قدمها عام 1968م.

وفي أواخر حياته ورغم مرضه فإن ذلك لم يقلل من نشاطه العلمي في سبيل تطوير نظريته في النحو الوظيفي إلى أن توفي في 01 مارس 1995م في "Holysloot "وقد صدر في مجلدين كتابه "نظرية النحو الوظيفي *The Theory of Functional Grammar* (*FG*) " سنة 1997م؛ أي بعد سنتين من وفاته([1]).

كان منطلق النشأة لهذه النظرية الاقتناع بأن مقاربة خصائص العبارات اللغوية، خاصة منها ما يتضمن وصلاً (بين المفردات أو الجمل) على أساس العلاقات أو الوظائف(الدلالية والتركيبية والتداولية)، تَفْضُل مقاربتها على أساس المقولات الشجرية، كالمركب الاسمي أو المركب الفعلي الذي لا ورود له إلا في بعض اللغات. في هذه المقاربة أصبح التمثيل التحتي للعبارات اللغوية بنية وظيفية لا ترتيب فيها، تتخذ دخلا لمجموعة من القواعد (تختلف باختلاف اللغات) تنقلها إلى بنية سطحية مرتبة. وبفضل تطعيم هذه المقاربة العلاقية

([1]) – الموسوعة العالمية الحرة – الناطقة باللغة الفرنسية– "ويكيبيديا wikipedia "، تاريخ الاطلاع عليها: 15 . 04 . 2016 . للتوسع ينظر الرابط الالكتروني: www.wikipedia.org

بمفاهيم تداولية أخرى (كالقوة الانجازية وغيرها)، وبفضل تطبيقها على لغات متباينة النمط، شجرية وغير شجرية انتقلت إلى نظرية وظيفية قائمة الذات([1]).

واكب هذا الاعتناء النظري توسعا جغرافيا حيث انتقلت نظرية النحو الوظيفي من مسقط رأسها أمستردام إلى أقطار أخرى؛ فتكونت مجموعات بحث وظيفية في انتويرب(بلجيكا)، ومدريد، والرباط، ولندن، والدانمارك. وبموازة ذلك دُعي الباحثون الوظيفيون للمشاركة في محافل دولية أوروبية وأميركية إلى جانب باحثين من مشارب أخرى توليدية- تحويلية، وعلاقية، وحاسوبية وغيرها للمقارنة بين مقاربات مختلفة لظواهر لغوية مركزية، وفي هذا السياق أسهم اللساني العربي "أحمد المتوكل" بمساهمة بمدخل عن "النحو الوظيفي واللغة العربية"(المتوكل 2006) في إعداد الجزء الثاني من"موسوعة اللغة العربية واللسانيات العربية"([2]).

وظلت نظرية النحو الوظيفي تكتسب المزيد من الانتشار إلى جانب المزيد من الاغتناء المعرفي بفضل الندوات الدولية التي تعقد كل سنتين منذ اثنين وعشرين سنة في العديد من الجامعات العالمية ويمكن أن يشار بهذا الخصوص إلى الملتقيات الآتية: أمستردام (1984م)، انتويرب (1986م)، أمستردام (1988م)، الدانمارك (1990م)، بني ملال(1991م)، انتويرب (1992م)، يورك (1994م)، قرطبة (1996م)، أمستردام (1998م)، المحمدية (1999م)، مدريد (2000م)، أمستردام (2002م)، أكادير(2003م)، خيخون (2004م)، سان باولو- بالبرازيل- (2006م) ([3]).

دخلت هذه النظرية العالم العربي أول الأمر على يدي مجموعة من الباحثين المغاربة المشتغلين بالدرس اللساني المعاصر في عدد من جامعات المغرب الأقصى؛ ويعتبر أحمد المتوكل(*) رائد هذه النظرية في العالم العربي،

([1]) – ينظر : آفاق اللسانيات دراسات- مراجعات – شهادات. تكريما للأستاذ الدكتور نهاد الموسى، مجموعة من المؤلفين، إش: هيثم سرحان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط01، 2011، بيروت، لبنان، ص 30.

([2]) – ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي؛ الأصول والامتداد، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص 59.

([3]) – ينظر: المرجع نفسه، ص60

(*) – من مواليد 1942م بالرباط. درس في ثانوية مولاي يوسف بالرباط حيث حصل على البكالوريا، ثم انتقل للدراسة في قسم اللغة الفرنسية وآدابها، حيث حصل على الإجازة في الأدب واللغة الفرنسيين، نال درجة دكتوراه السلك الثالث في اللغويات في نفس القسم، وكان موضوع رسالته عن (**أفعال الاتجاه في اللغة الفرنسية**)، وبعد ذلك هيأ داخل القسم العربي شهادة في الأدب المقارن، ثم حضر دكتوراه الدولة في اللسانيات، وكان موضوع هذه الأطروحة التي أشرف عليها غريماس، (**نظرية المعنى في الفكر اللغوي العربي القديم**) وطبعت الأطروحة في المغرب باللغة الفرنسية، وقام أحد طلبة كلية الآداب بالدار البيضاء عين الشق دكتوراه وطنية في ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية والتقديم له بدراسة عن آراء أحمد المتوكل. درّس الدكتور أحمد المتوكل في كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط في القسمين الفرنسي والعربي، وكان يدرس التداوليات، ثم تخصص في تدريس النحو الوظيفي. تفرغ منذ سنوات للبحث العلمي؛ وقد أصدر خلال هذه الفترة عددا من المؤلفات التي أراد بها استكمال صرح نظرية النحو الوظيفي وتطبيقاتها في اللغة العربية. اصدر إلى الآن ما يربو على العشرين مؤلفا في نظرية النحو الوظيفي وتطبيقاتها.

والذي يعد كتابه" الوظائف التداولية في اللغة العربية" من المؤلفات المبكرة التي ظهرت في نظرية النحو الوظيفي الذي ارتكز فيه على التداولية، كما يعتبر من أوائل من أشاع مصطلح التداولية للدلالة على "دراسة اللغة في الاستعمال". ويذهب أحمد المتوكل موضحا هذه الجوانب بقوله: (إن هذه النظرية أول ما دخلت عبر جامعة محمد الخامس بالرباط حيث شُكّلت " **مجموعـــة البحث في التداوليـــات واللسانيات الوظيفيـــة** ". وبفضل جهود المتمين إلى هذه الحلقة اللغوية وغيرها (*)، تسنى للمنحى الوظيفي أن يأخذ محله في البحث اللساني المغربي إلى جانب مكوناته الأخرى. وقد تم ذلك من خلال أربع طرائق رئيسة هي؛ التدريس، والبحث الأكاديمي، والنشر، وعقد ندوات دولية داخل المغرب نفسه (1). وقد اتسع نطاق الاشتغال بنظرية النحو الوظيفي وتطبيقاتها في اللغة العربية في مختلف جامعات العالم العربي؛ ففي الجزائر مثلا؛ سعى عدد من الباحثين إلى تقديم مداخل للنظرية ومحاولة وضع نماذج تحليلية تطبيقية لها في اللغة العربية؛ في هذا الصدد يمكن الإشارة إلى ظهور عدد من البحوث والأطروحات العلمية(2).

وقد مرت نظرية النحو الوظيفي في سيرورتها إلى مسلك الاكتمال بثلاثة مراحل بارزة:

أ – المرحلة الأولى: نموذج الجملة (نموذج النواة) الذي أصبح يعرف بنموذج ما قبل المعيار، وتشمل هذه المرحلة الفترة الممتدة ما بين (1978م – 1988م).

ب – المرحلة الثانية: ويسمى نموذج المعيار؛ وتعرف هذه المرحلة ي بنموذج النص وتتحدد الفترة ما بين (1989م – 1997م)، وفي هذه المرحلة تطور جهازها الواصف بظهور منظور القوالب.

ج– المرحلة الثالثة: ويعرف بنموذج ما بعد المعيار الممتد من سنة 1997م إلى يومنا هذا؛ وهو النموذج الذي لا يزال في طور التعديل والتحسين، واقترح المنظرون وصف هذا النموذج بالنحو الوظيفي الطبقي القالبي. (3).

(*) – يمكن أن نذكر من هؤلاء الباحثين على سبيل المثال: محمد الاوراغي وأطروحته في الدكتوراه " الوسائط اللغوية: تثبيت الوظائف على النحو الخاص"، 1998م، كلية الآداب، الرباط. عز الدين البوشيخي وأطروحته في الدكتوراه " قدرة المتكلم التواصلية وإشكال بناء الأنحاء"، 1998م، كلية الآداب،مكناس. الزهري نعيمة وأطروحتها في الدكتوراه " التعجب في اللغة العربية"، كلية الآداب، عين الشق،الدار البيضاء. وقد نشرت هذه الأطروحة.

(1) – ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي؛ الأصول والامتداد، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص 61.

(2) – يمكن أن نذكر على سبيل المثال: أطروحة دكتوراه دولة في اللسانيات الوظيفية الحديثة تحمل عنوان" نحو نظرية وظيفية للنحو العربي" للباحث: يحي بعيطيش، وبإشراف من الأستاذ الدكتور: عبد الله بوخلخال، وقد قدمت هذه الرسالة في قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة قسنطينة خلال السنة الجامعية 2005 م– 2006م.

(3) – ينظر: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، مخطوط أطروحة دكتوراه دولة في اللسانيات الوظيفية الحديثة، إعداد الباحث، يحي بعيطيش، إشراف: أ.د. عبد الله بوخلخال، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة قسنطينة، 2005م– 2006م. ص 124

وبالنظر إلى المرامي التي حملتها هذه النظرية؛ فإن المشروع الذي يسعى المنحى الوظيفي في البحث اللساني العربي في انجازه له شقان متلازمان متكاملان:

- **أولهما:** رصد ظواهر اللغة العربية فصحى ودوارج ووصفها، ومحاولة تفسيرها تزامنا وتطورا انطلاقا من مبدأ ترابط الوظيفة والبنية وتبعية الثانية للأولى.

- **وثانيهما:** إعادة قراءة التراث اللغوي العربي وربط الصلة بينه وبين امتداداته اللسانية الحديثة.

وقد استهدف البحث في الشق الأول بلوغ أربعة مطامح:

1 . وضع نحو وظيفي للغة العربية متكاملا يكفل رصد خصائصها وصفاً وتفسيراً.

2 . إقامة تنميط يضطلع بموقعتها بالنسبة إلى باقي اللغات الطبيعية.

3 . نقل البحث اللساني الوظيفي إلى مجال الإجراء والتطبيق ليلج القطاعات الاجتماعية- الاقتصادية كالترجمة وتعليم اللغة وتحليل النصوص باختلاف أنماطها والطب النفسي المهتم بالاضطرابات اللغوية،

4 . تعميمه ليشمل مختلف انساق التواصل وقنواته اللغوية وغير اللغوية.

أما البحث في الشق الثاني من المشروع فقد رام أول ما رام إرساء منهجية علمية عامة كفيلة بتأطير قراءة الفكر اللغوي القديم ووصله بالبحث اللساني العربي الحديث في منحاه الوظيفي على الخصوص([1]).

وتسعى المحاضرات اللاحقة إن شاء الله إلى تقديم جوانب شاملة لهذه النظرية اللغوية، ورصد بعض صور تطبيقاتها في اللغة العربية.

([1]) - ينظر : الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، أحمد المتوكل، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط01، 2012، بيروت، لبنان، ص11.

المحاضرة الثانية

مصطلحـــات

النحـو الوظيفـي

1 . طبيعة المصطلح النحوي الوظيفي

2 . المصطلح النحوي الوظيفي ومعضلاته

3 . مسرد مصطلحات النحو الوظيفي

1 . طبيعة المصطلح النحوي الوظيفي

تعد الإحاطة بمصطلحات أي علم من العلوم – التي هي أشبه بالسياج المعرفي له – مبتغى شريفا ومقصدا نبيلا لتحصيله؛ يسعى إليه الخاصة من الناس قبل العموم؛ فالعلوم في جوهرها جهاز مفاهيمي مكون من عدد من المصطلحات التي تضبط نظام هذا العلم وتوجه سيرورته؛ وتسهل المسالك للراغب في اكتسابه وتحصيله. فإنما (تتبلور العلوم عند ولادتها في مصطلحات، وتعبر عن نضجها حين تنضج بمصطلحات، وتبلغ أشدها حين تبلغه بأنساق من المصطلحات. ولا سبيل إلى استيعاب أي علم دون فهم المصطلحات، ولا سبيل إلى تحليل ظواهر أي علم وتعليلها دون فقه المصطلحات، ولا سبيل إلى تجديد أي علم دون تجديد المصطلحات أو مفاهيم المصطلحات؛ إذ في المصطلحات البسيطة الصغيرة تسكن صغار العلم وجزئياته، وفي المصطلحات المركبة الكبيرة تُخْتَزن كبار العلم وكلياته، وفي الأنساق المصطلحية العامة تتمثل أشجار مفاهيم العلوم وأشكال بنائها، ومن تلك الأنساق المتضمنة لمعاجم العلوم وأجهزتها) ([1]).

انطلاقا من هذه الرؤية المدركة لأهمية المصطلح رأينا في التراث العربي ذلك الزخم من المؤلفات التي تخصصت في اصطلاحات العلوم؛ ويكفي للدارس الإطلال على أي حقل من الحقول اللغوية: صوتا، وصرفا، وتركيبا ومعجما، ودلالة وبلاغة؛ ليجد منظومة اصطلاحية متكاملة له؛ حتى أنها قد عرفت بمؤلفات مستقلة تحت عناوين مميزة من مثل؛ المفتاح، والمدخل، المغني، والموجز، الوافي...وسواها. ومن القضايا النحوية الأصولية المرتبطة بهذه المسألة في التراث اللغوي العربي؛ ارتباط المصطلح النحوي في بنيته وتكوينه بمجالات معرفية محددة أخذ منها ووقع تحت تأثيرها، ولا يختلف الدارسون في هذه القضية عن التأثير الواسع الذي تركه الفقه وعلم الأصول زمن النشأة والميلاد، وما وقع تحت تأثيره من المنطق والعلوم الحكمية زمن النضج والاكتمال.

وبالنظر إلى واقع الدرس اللساني المعاصر؛ فقد تبلورت نظرية النحو الوظيفي في أواخر العقد السابع من القرن الماضي بوصفها إحدى النظريات المهمة في تحليل اللغات الطبيعية؛ انطلاقا من امتلاكها لجهاز مفاهيمي مميز في تكوينه، ومصادره المعرفية؛ وقد عمل المشتغلون به على تبيان أسسه المعرفية وحدوده النظرية والتطبيقية، وهو ما أعطى للنظرية بشكل عام آفاق الشيوع والانتشار في أبحاث الدارسين المعاصرين؛ باعتبارها واحدة من النظريات اللسانية الساعية إلى تقديم رؤية لسانية عامة وشاملة لتحليل التراكيب اللغوية وتفسيرها في جميع اللغات الطبيعية.

([1]) – نظرات في المصطلح والمنهج، الشاهد البوشيخي، مطبعة انفو برانت، ط01، 2002، فاس، المغرب، ص15

2 . المصطلح النحوي الوظيفي ومعضلاته

كون نظرية النحو الوظيفي إحدى النظريات اللسانية المعاصرة الجديدة في الواقع اللغوي العالمي والعربي تحديدا – إذ لم يمض على وجودها أكثر من أربعة عقود من الزمن– فإن ذلك يثير عديد المسائل حول جوهر النظرية وأبعادها وتطبيقاتها؛ ومن ذلك ما تثيره طبيعة بعض مصطلحات النحو الوظيفي على صعيد الدرس والتحليل ولا سيما في الجانب التعليمي من مشكلات علمية دقيقة؛ تصعّب على الدارس أو المتلقي العادي أو المبتدئ الاشتغال بالجهاز الواصف لهذه النظرية اللسانية الحديثة؛ ويمكن أن نوجز بعض مظاهر هذه المعضلة الاصطلاحية فيما يأتي:

أ – الارتكاز الواسع على النسق الاصطلاحي الرياضي في التحليل والتمثيل والتعليل؛ إذ يشيع الرمز الرياضي بصورة لافتة في مختلف الأبحاث النحوية الوظيفية؛ وهو ما يشكل – فيما أحسب – عائقا أمام تحصيله، إذ تبدو للدارس غير المعتاد عليه أو المبتدئ دراسته أشبه بالمعادلات الرياضية واحتمالاتها؛ ومرد ذلك هو التأثير الواسع الذي مارسه الحقل الرياضي في المعرفة الإنسانية المعاصرة؛ ولقد مارست الرياضيات تأثيرها الواسع في الدرس المعرفي المعاصر، وقد شملت (حركة تجديد لغة الرياضيات المنطق الأرسطي وسائر المناهج التجريبية. وليس من شك في أن هذه الحركة امتد تأثيرها مع " كوتلب فريجة"، و"تارسكي"، و"كارناب" إلى ميدان اللغة الطبيعية على الأقل بناء أنساق نظرية قابلة لأن تتحقق.) ([1]). بالإضافة إلى عدم نسيان جانب آخر مهم؛ وهو أن كثيرا من اللسانيين المعاصرين كانوا من ذوي هذا التخصص المعرفي.

ب – الاعتماد البارز على النسق الاصطلاحي المنطقي الفلسفي، إذ تشيع الألفاظ المنطقية وهو ما يكشف عن الحاضنة التي نشأ في كنفها هذا الاتجاه اللغوي؛ فتغذى من أفكارها، وأمدته من نسقها الاصطلاحي، ولا يغيب عن ذهن الدارس ما للفلسفة اللغوية المعاصرة – وبالأخص" الوضعية المنطقية" تحديدا– من أثر واضح في ظهور المقاربة اللسانية الوظيفية والتداولية.

ج – يبدو المستوى العالي من التجريد والاستدلال الدقيق نتيجة طبيعية لظلال الفلسفة اللغوية والأثر المنطقي والرياضي في مصطلحات النحو الوظيفي (لا سيما من خلال كثرة التفريعات والتقسيمات) ؛ الأمر الذي يعقد عملية تحصيل هذه المعرفة اللغوية. لقد لا حظنا مثلا مما مارسه المنطق من تأثير في النحو التحويلي التوليدي والذي يتلخص في الصيغة: **بنية عميقة** ⟸ **بنية سطحية** ⟸ **صورة منطقية**. فكل جملة يفترض فيها بحسب هذا النحو أن تخضع لهذه الخطاطة العامة ومن ثم يمكن أن نشتق من عبارة معينة صيغا أخرى. وكمثال

([1])– اللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي، جورج لايكوف، تر: عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، ط01، 2008، الدار البيضاء، المغرب، ص05

بسيط: **جميع أبناء عمرو سود شعر رأسهم**. فهذه الجملة يمكن أن نولد منها ا وان نشتق منها صيغا أخرى عن طريق الاقتضاء كأن نقول: وإذن فعمرو متزوج وأنه وامرأته أو كليهما أو واحدا على الأقل من أجدادهما شعره أسود. فنحن في هذا المثال تركنا الصيغة الأصلية واستنبطنا منها حسب الاقتضاء معان أخرى. وبتعبير آخر فإن الصيغة الأصلية لها منطوق كما يقول علماء أصول الفقه ولها مفهوم الموافقة أو المخلفة أو فحوى الخطاب.([1]).

د – عائق ذهني نفسي ويتمثل في وقوع الطالب أثناء تلقيه لهذه المعرفة اللغوية في مأزق المقارنة والمقاربة بين مصطلحات نظرية النحو الوظيفي ومصطلحات النحو العربي؛ ففكرة المماثلة تهيمن على أذهانهم وهم يتلقون هذه النظرية اللسانية المعاصرة التي لها سياقها المعرفي والحضاري الخاص بها.

هذه بعض المظاهر البسيطة التي تتجلى من خلالها المشكلات التي تواجه دارس النحو الوظيفي، والتي تبدو ذات نتائج أليمة ووخيمة لعل أهون صورها يبرز في عدم مسايرة ثمرات البحث اللساني ومواكبته. وما يمكن قوله في تجاوز المعضلات المعرفية التي تخص المصطلح النحوي الوظيفي، والتي تحول دون تحصيل هذا النمط من المعرفة اللغوية هو توجيه الخطاب إلى طرفين مهمين:

أولا : توجيه الدعوة إلى المشتغلين بهذه النظرية من ذوي الاختصاص إلى تبسيط مفاهيم هذه النظرية وتأليف مسارد اصطلاحية مفتاحية شارحة ومبسطة لمصطلحات نظرية النحو الوظيفي. لأن غاية القصد في تحصيل أي علم من العلوم قائم كما قال الجاحظ (ت 255 هـــ) قديما (مدارُ الأمرِ على البَيانِ والتبّينِ) ([2]). وهو المبدأ الذي أخذ بأسبابه الدارس اليوم في الجامعات الغربية؛ يرى الباحث محمد الشكيري (إن ذوي الاختصاص في البلدان المتقدمة لا يبخلون على طلبتهم بالأدوات الأساسية ولا يعتبرون من الوضاعة أن ينشغلوا بتوجيه ورشات تطبيقية لفائدة المبتدئين أو بإعداد برامج مدرسية لمن هم في أمس الحاجة إليها.) ([3]).

ثانيا: توجيه الخطاب إلى متلقي النظريات اللغوية المعاصرة إلى فهم ابستمولوجيا هذه النظريات بالبحث في أصولها وروافدها المعرفية؛ التي تؤسس لتصوراتها وقبل ذلك مصطلحاتها، وفي السياق نفسه دعوة الطلبة أن يسمو بتفكيرهم اللغوي ويسعوا إلى اكتساب العقل المحلل الذي لا يقف عند ظاهر المعرفة، بل يمضي ببصيرته إلى عمق جوهرها؛ بالمقارنة والتحليل والتفكيك وإعادة البناء والتركيب.

([1])– اللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي، جورج لايكوف، مرجع سابق، ص05

([2]) – الجاحظ، البيان والتبيين، تح: علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال، ط01، 2002، بيروت، لبنان، ص11

([3]) – دروس في التركيب بين النظرية التوليدية التحويلية والنحو المعجمي الوظيفي (تطبيقات على العربية)، محمد الشكيري، دار الأمان، ط01، 2005، الرباط، المغرب،ص05

3 . مسرد مصطلحات النحو الوظيفي

سأعرض في هذا المبحث لسرد بعض المصطلحات البارزة في نظرية النحو الوظيفي المكونة لجهازه المفاهيمي، وتقديم شروح مبسطة ما تيسر لأمر لذلك؛ وتجدر الإشارة هنا إلى اعتمادي المباشر على أبحاث اللساني العربي أحمد المتوكل وتطبيقاته المميزة لنظرية النحو الوظيفي في اللغة العربية، ومع الارتكاز على بعض المعاجم المعاصرة في اللسانيات وتحليل الخطاب بالإضافة إلى الدراسات التطبيقية في هذه النظرية على قلتها.

– الإعراب

يحدد ديك (ديك: 1989: 312) ما يقصد بالإعراب في نظرية النحو الوظيفي(287) بقوله:" نقصد بالإعراب الاختلافات الصرفية التي تلحق المحمولات الاسمية والصّفية وفقا لوظائف الحدود التي تتضمنها هذه المحمولات"([1]).

– التطريز

اصطلاح" التطريز" في مرجعه الغربي اشتق من المصطلح الإغريقي (prosida) [تطريزة] وهو مصطلح موسيقي يدل أحيانا على ترنيم أغنية في الموسيقى ((song sung to music)) أو الدور الغنائي المصاحب ((sung accompaniment))؛ وهذا يستتبع أن التطريزة هي الدور الموسيقي المصاحب للكلمات نفسها. وقد وظف العروض الغربي هذه الدلالات؛ فعرف التطريز بأنه مجموع قواعد النظم الشعر التي تعنى بكمية المصوتات في (اللغة الإغريقية أو اللغة اللاتينية). إنه إذن يحيل على مبادئ النظم المشتملة على القوالب الإيقاعية، وصيغ التقفية وبنية البيت الشعري([2]).

– التنغيم

تفعيل من النغم وهو (جرس الكلمة وحسن الصوت في القراءة ونحوها) ([3])، ويظهر التنغيم من خلال تغير طبقة الصوت حيث يحصل تموج على مستوى الجملة حيث يتغير التنغيم في العلو والانخفاض؛ فنجد مثلا أن الجملة المثبتة تكون ثابتة التنغيم في حين أنه يرتفع في الجملة الطلبية ويرتفع أكثر بالنسبة للجملة التعجبية. وهذا

([1]) – ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل، دار الأمان، ط01، 2013، الرباط، المغرب، ص 432

([2]) – ينظر: القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، أحمد البايبي، عالم الكتب الحديث، ط01، 2012، إربد، الأردن، ج01، ص 11

([3]) – لسان العرب، ابن منظور، دار الجيل، د.ط، 1988، بيروت، لبنان، ج06، ص 449 . [مادة نغم]

يحصل بالنسبة للكلام المنطوق الملفوظ حيث تنوب عنه في الكتابة علامة الإعجام والتنقيط. ويضطلع التنغيم بإخبارنا عن هوية المتكلم،،، وعن جنسه (حيث للنساء طبقة أرفع وصوتهن أحد)، عن سنه وعن حالته النفسية أو الجسمية ... نفهم من كل ما سبق أن للتنغيم دورا فعالا في الكلام فقد يكون للتأكيد أو للتمييز أو الإفادة أو غيرهما...([1]).

– الحـــد (Term)

الحد بنية منطقية دلالية وتتضمن مخصصا أو (مخصصات) وسلسلة من المقيدات التي تقوم بدور تقييد مجموعة الذوات التي يحيل عليها الحد ، وهذه البنية وظيفة دلالية تحدد دور المحال عليه في الواقعة الدال عليها المحمول ووظيفة تركيبية تداولية إذا اقتضى الحال، وإن هذه الوظائف يمكن أن تسند داخل البنية إلى حد المقيدات.

يتألف الحد إما من مقيد واحد أو من مقيدات متعددة، ويرد عادة المقيد الأول اسما كما هو الشأن في المقيد الفتاة في البنية (1): (1) قابلت الفتاة الجميلة المجتهدة.

في حين ترد المقيدات الأخرى إما صفات أو جملا كما في الجملة (2) حيث المقيد الثاني جملة موصولية :

(2) قابلت الفتاة التي حيتنا بالأمس.

في الحالة الأولى، يكون المقيد الوحيد ((رأس)) المركب إذ لا مقيد آخر ينازعه هذه الخاصية، أما في الحالة الثانية حالة تعدد المقيدات داخل الحد الواحد، فإن المقيد الأول هو المقيد الذي ينتقي رأسا للمركب في حين تأخذ المقيدات الأخرى وضع الفضلات (149/7) ([2]).

السِّياق

يعرِفُهُ اللساني "جون ديبوا JEAN DUBOIS" بأنّهُ (مجمل الشروط الاجتماعية التي تؤخذ بعين الاعتبار

لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي، واستعمال اللغة ، وهي المعطيـــات المشتركة بين المرسل والمتلقي والوضعية الثقافية والنفسية والتجارب والمعلومات الشائعة بينهما) ([3]).

([1]) – ينظر: مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، مرجع سابق، ص82

([2]) – ينظر: الوظيفة والبنية مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، أحمد المتوكل، منشورات عكاظ، ط01، 1993، الرباط، المغرب، ص 31

([3]) - Dictionnaire De Linguistique, Jean. Dubois et autres, Larousse,2002, paris, France. P116.

– الخطاب

بالنسبة لأحمد المتوكل (يعد خطابا كل ملفوظ/مكتوب يشكل وحدة تواصلية تامة) ([1]).

– القالبية

القالبية فرضية مفادها أن دراسة أي نسق من الأنساق تقتضي التعامل معه على أساس أنه مكون من عدة انساق فرعية يتميز كل منها بالخصائص الآتية:

أ – إفرادية البنية: تفيد هذه الخاصية أن لكل نسق بنيته.

ب – إفرادية المبادئ: تشير هذه الخاصية أن كل بنية تحكمها مبادئ خاصة تقوم بتنظيم عملها.

ج – إفرادية التطور: تفيد هذه الخاصية أن النسق يتطور وفق منهج خاص، أي كل نسق يختص ببنيته وبمبادئه وبنموه، حيث لا يمكن تصور نسقين (س) و(ص) لهما بنية متماثلة وتحكمها مبادئ موحدة ويتطوران بالطريقة نفسها.

د – خاصية الاستقلال: تستفيد هذه الخاصية من الخاصية السابقة معناها، فكل نسق يتمتع باستقلاله الخاص.

هـــ– خاصية التفاعل: الاستقلالية لا تمنع تفاعل النسق مع انساق تساهم هي الأخرى في أداء وظيفته المحددة.

يعود الفضل في صياغة فرضية القالبية صياغة علمية واضحة إلى تشومسكي وبعده فودور ([2]). وقد أسهمت فرضية القالبية بذلك في بناء الأنحاء المعاصرة؛ مثل النحو التوليدي التحويلي، ومن ذلك أيضا النحو الوظيفي، والتي سيشار إلى بعض جوانبها في هذه المحاضرات.

القالب the Tagmeme

القالب هو مكون مبني يوصف في أربعة مصطلحات عامة هي : الموقع، والوظيفة، والفئة، والتضام؛

(A constituent of a construction described in Terms of four General feature : Slot, role, class, Cohesion)

([1]) – الوظيفية بين الكلية والنمطية، احمد المتوكل، دار الأمان، ط01، 2003، الرباط، المغرب، ص67

([2])– التواصل اللغوي مقاربة لسانية وظيفية (نحو نموذج لمستعملي اللغات الطبيعية)، مكتبة لبنان ناشرون، ط01، 2012، بيروت، لبنان، ص53

ويذكر روبتز "Robins " أن القالب هو مكان في التركيب مع عناصر فئة شكلية شاغلة لذلك المكان ويمكن أن نعرف الأركان الأربعة التي تشكل أبعاد القالب وذلك على النحو الآتي:

- الموقع "the Slot": ويختص بصورة القالب التي تشكل المكان الأساسي أو الهامشي في التركيب.

- الوظيفة "the role": وتختص بصورة القالب التي تحمل وظيفة القالب في التركيب.

- الفئة "the class ": وتختص بالشواغل" Fillers" التي تشغل الموقع.

- التضام"the Cohesion ": ويختص بتأثر القالب بالقوالب المجاورة، وتأثير القالب في تلك القوالب([1]).

- مفهوم النحو

لا ينطبق مصطلح " النحو" في الدرس اللساني على مفهوم واحد بل على عدة مفاهيم أهمها:

1/ **النحو في مقابل اللسانيات؛** دأب المشتغلون بتاريخ الدرس اللغوي على التمييز بين المرحلة القديمة؛ مرحلة الدراسات النحوية والمرحلة الحديثة مرحلة اللسانيات. والفرق بين الدراسات اللغوية القديمة والدرس اللساني الحديث فرق هام ومن الوضوح ما لا يدع مجالا لمجادل؛ ومن الممكن أن نرجع الفرق بين الفكر اللغوي القديم والفكر اللساني الحديث إلى أربعة جوانب:

أ- **من حيث ظروف الإنتاج؛** توافر للسانيات من المحيط العلمي ومن الاستفادة من مختلف العلوم ما لم يتح للدرس اللغوي القديم. وإن كان له أيضا محيطه الفكري والثقافي الخاص به. مما أفادت منه اللسانيات كما هو معلوم؛ الفلسفة والمنطق والرياضيات الحديثة وعلم النفس والاكتشافات التقنولوجية كالحاسوبيات.

ب- **من حيث موضوع الدراسة؛** لم يجاوز الفكر اللغوي القديم حدود اللغة الواحدة والتقعيد لهذه اللغة الواحدة (الهندية أو العربية أو الفرنسية مثلا) في حين أن موضوع اللسانيات هو اللغات على اختلاف أنماطها أو بالأحرى الملكة اللسانية التي تتميز بها الكائنات البشرية.

ج- **الهدف؛** كان الهدف الأساسي من الدراسات اللغوية في القديم تعليم اللغة ولحفاظ عليها من أن يشوبها لحن أهلها أو الوردين عليها, في مقابل هذا تسعى اللسانيات الحديثة من خلال دراسة مختلف أنماط اللغات إلى إقامة "نحو كلي" يضطلع برصد خصائص اللسان الطبيعية بوجه عام.

([1]) - نظرية القوالب؛ من نظريات علم اللغة الحديث، حازم علي كمال الدين، مكتبة الآداب، د. ط، 1997، القاهرة، مصر، ص 39

د- **المنهج:** يقوم النحو القديم على أوصاف متفرقة لأبواب مختلفة في الغالب الأعم. هذا لا يعني بحال أن روح التنظير غير موجودة عند قدماء اللغويين إنما يعني أن منهج اللسانيات منهج مغاير يقوم على بناء نماذج خاضعة لقواعد الاستنباط وقوانين الصورنة العلمية وقابلة لأن تراز حاسوبيا.

2/ **النحو فرعا:** يطلق مصطلح النحو كذلك على فرع من فروع الدرس اللغوي قديمه وحديثه يختص بالتركيب أو بالصرف أو يشملهما معا . مثال ذلك كتب النحو العربي نثرا كانت أم نظما. إلا أن هذا النحو بهذا المعنى يحي في النظريات اللسانية الحديثة على مستوى من مستويات التمثيل (أو التحليل). ويكون مستوى التحليل هذا تارة محصورا في التركيب وتارة جامعا بين الصرف والتركيب في النظريات التي لا تفصل بينهما. وتجدر الإشارة هنا إلى أن النحو باعتباره مستوى تحليليا يتعالق مع مسويات أخرى كالمستويين الصوتي والدلالي داخل جهاز واصف واحد.

3/ **النحو أنموذجا:** أحدث استعمالات مصطلح النحو وأكثرها انتشارا الآن في الأدبيات اللسانية إطلاقه على الجهاز الواصف نفسه. وقد يتوسع في ذلك فيطلق هذا المصطلح باعتباره اسما علما على نظرية لسانية بعينها. من أمثلة هذا التوسع "النحو التحويلي التوليدي"، و"النحو المعجمي الوظيفي"، و"نحو الأحوال"، و"النحو المركبي المعمم"، و"النحو الوظيفي". إن منهجية الدرس اللساني الحديث تقوم على صياغة نموذج مصور لقدرة المتكلم- السامع اللغوية/التواصلية. وقد مرت هندسة النموذج بمرحلتين:

أ – في المرحلة الأولى؛ كان النموذج ينبني على مجموعة من "المكونات"؛ كالمكون التركيبي (أو الصرفي – التركيبي)، والمكون الدلالي، والمكون الصوتي يحدد عددها عدد المستويات التمثيلية المقترحة وتربط بينها علاقات معينة.

ب – أما في المرحلة الثانية فيصاغ النموذج على أساس "القالبية" حيث يتكون من مجموعة قوالب ينفرد كل قالب منها بمبادئه وإواليات الخاصة باعتباره قالبا مستقلا إلا أن هذه القوالب يفضي بعضها إلى بعض فيكون بعضها "دخلاً" أو "خارجا" لبعض. من الواضح أن هذه الهندسة القالبية مستوحاة من الأنساق المعلوماتية، بالإضافة إلى ما توصلت إليه الدراسات النفسية–اللغوية في موضوع التكوين القالبي للدماغ البشري.

4/ **النحو في مقابل النظرية:** مثل نظرية النحو الوظيفي تجتمع مجموعة قواعد وتنضج وتقوم على سوقها في تفسير اللغة نسميها نظرية أو نسميها نحو, وهذا هو الذي يعنينا من دراسة مفهوم النحو في منظوره اللساني الحديث من كونه نظرية حديثة لها قواعدها وأسسها في تفسير اللغة([1]).

([1]) – ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي؛ الأصول والامتداد، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص 39.

- النبر

إشباع مقطع من المقاطع وذلك بزيادة ارتفاعه الموسيقي أو مداه أو شدته ([1]).

- النحو الكلي the theory of universal grammar

النحو الكلي هو تحديد للمبادئ الفطرية المحددة بيولوجيا، إنه واحد من مكونات العقل الإنساني ألا وهو ملكة اللغة ؛ وقد استحدث هذا المفهوم مجموعة من البراميترات (معايير التغيير) أسهمت في تدعيم التوجهات الجديدة للنظرية المعنية بتفسير الملكة اللغوية عند الإنسان وكشف اللثام عن كثير من الغموض والصعوبة التي كانت تواجه الباحثين باعتمادهم على الآليات السابقة مثل: قواعد بنية العبارة pharse structure، والقواعد التحويلية Transfermational grammar واللجوء إلى التأويل الدلالي عن طريق البنية العميقة deep structure([2]).

ويرى أحمد المتوكل أن النظريات اللسانية وظيفية وغير وظيفية تتفق جميعا في ثلاثة أمور هي :

أ - إن النحو الكلي من المطامح التي يجب أن تسعى كل نظرية في تحصيلها لأن النظرية التي تخلو من نحو كلي تفقد القدرة على تفسير جوانب هامة من جوانب اللسان الطبيعي كالتشابه بين اللغات البشرية على اختلاف المكان والزمان.

ب - إن النحو الكلي قوامه القواسم المشتركة بين اللغات الطبيعية.

ج - وإن من هذه القواسم ما هو فطري ومنها ما هو مكتسب مع اختلاف في تغليب الفطري على والعكس صحيح. والمطلوب من نظرية النحو الوظيفي بناء أنحاء نمطية لفصائل اللغات المنتمية إلى النمط الواحد وأنحاء خاصة للغات معينة ليشكل النحو الكلي منطلقا لبناء الأنحاء النمطية والأنحاء الخاصة ([3]).

- النموذج

في الدراسات اللسانية وغيرها من العلوم الإنسانية، نجد أنفسنا أمام مفهوم ((النموذج)) Modèle القائم على البنية. والنموذج كما هو معروف جهاز تصوري يضعه الباحث لفهم الظواهر المدروسة وصفا وتفسيرا. وقد

([1]) - التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الطيب البكوش، المطبعة العربية، ط3، 1992، تونس، ص80

([2]) - نظرية النحو الكلي والتراكيب اللغوية العربية، حسام البهنساوي، مكتبة الثقافة الدينية، ط01، 2004، القاهرة، مصر، ص06

([3]) - الوظيفية بين الكلية والنمطية، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص67

يختلف من مجال إلى آخر؛ فالنموذج في العلوم الإنسانية والاجتماعية هو غير النموذج المستعمل في العلوم الرياضية، أو الفيزيائية أو الطبيعية. في هذه العلوم يكون النموذج مجموعة من التصورات والرموز المجردة الموجودة تصوريا فحسب. أما في العلوم الإنسانية؛ وفي مقدمتها اللسانيات، فإن النموذج يحدد انطلاقا من العناصر المتآلفة المتناسقة التي يقود تناسقها وتآلفها إلى وظيفة محددة.

ويمكن أن نميز في العلوم الإنسانية بين اتجاهين أساسين في تصور طبيعة النموذج المتبع في التحليل:

– اتجاه يرى أن البنية تصور ذهني عقلي لا علاقة له بالواقع. إن التحليل البنيوي لا يعني الوصف المباشر للواقع المدروس. فالبنية الاجتماعية أو بنية المجتمع ليست هي العلاقات الاجتماعية، وليست هي الواقع الاجتماعي. ومن أكبر المدافعين عن هذا التصور عالم الانثروبولوجيا كلود ليفي ستراوش. فالتحليل البنيوي عنده لا يعني تحويل الوقائع المدروسة إلى نظام جديد، وإنما يقتضي إعادة إنتاج هذا الواقع وبنائه وصياغته صياغة منطقية جديدة تكشف عن بنيته الداخلية الخاصة به، إن البنية في هذا التصور فكرة ذهنية مجردة.

– اتجاه ينظر إلى البنية على أنها مجموعة من العلاقات القائمة فعلا بين الأشياء الموجودة في الواقع نفسه. ويدافع عن هذا التصور اللسانيون الأمريكيون والعلماء الانثربولوجيون والوظيفيون ([1]).

– المقـــام

مجموعة العناصر التي تتوافر في موقف تخاطبي معين؛ وأهمها؛ زمان التخاطب، ومكانه، وعلاقة المتكلم بالمخاطب، وخاصة الوضع التخابري القائم بينهما؛ أي مجموعة المعارف التي تشكل مخزون كل منهما أثناء عملية التخاطب. إلى هذا التعريف العام يمكن أن نرجع مختلف المصطلحات الواردة في علوم اللغة العربية كمصطلحي"مقتضى الحال"، و"قرائن الأحوال" مثلا ([2]).

– المقـــال

المقال هو الخطاب المنطوق أو المكتوب الذي ينتجه المتكلم في زمان ومكان معينين تجاه مخاطب معين بالنظر إلى وضع تخابري معين ([3]).

([1]) – في اللسانيات العامة تاريخها طبيعتها موضوعاتها مفاهيمها، مصطفى غلفان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط01، 2010، بيروت، لبنان، ص261

([2]) – ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي؛ الأصول والامتداد، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص 172

([3]) – ينظر: المرجع نفسه، ص 173

– اللغات الطبيعية"natural-language"

اللغات الطبيعية هي اللغات الإنسانية التي لم يخترعها إنسان معين و لم تنشا بقرار. وترتبط بحضارات وتراث الشعوب؛ كاللغات العربية والألمانية والانجليزية وغيرها، وهي تختلف عن لغات البرمجة والاسبرانتو التي صممت لأغراض معينة([1]).

– **الاقتضاء** implicature

من أهم المفاهيم التي يقوم عليها التداول اللغوي، ويقابل في التراث العربي مصطلح ((اللزوم)) و((الاستلزام))؛ ويشير المصطلح إلى الجانب الضمني والمضمر غير الصريح في الكلام؛ ولعل من أهم ميزات الاقتضاء أنه يقدم تفسيرا صريحا لمقدرة المتكلم على أنه يعني أكثر مما يقول بالفعل؛ أي أكثر مما يعبر عنه بالمعنى الحقيقي للألفاظ المستعملة. ([2]). فالجملة "الجو حار" في صورة بسيطة تدل على أن الجو حار فعلا، لكن في مقام تواصلي كثيرا ما يفيد مثل هذا الملفوظ من بين ما يفيده حسب الحالات: ((افتح النافذة))، ((أغلق جهاز التدفئة))، ((هل يمكن أن اخلع الصُدرة))؟، ليس عندي ما هو أهم لأقوله))... ([3]).

– الإحالـــة

يقصد بالإحالة العلاقة القائمة بين العبارة اللغوية والشخص (أو الشيء) الذي تحيل عليه في الواقع (العالم الخارجي). ويميز بالنسبة للعبارة اللغوية بين ثلاثة أبعاد: "الدال" وهو سلسلة الأصوات المكونة للعبارة، و"المدلول"(أو المعنى) وهو المفهوم المجرد الذي ينتظم طبقة الأشخاص (أو الأشياء) التي تحيل عليها العبارة اللغوية و((المدلول عليه)) (أو المرجع) وهو ما تحيل عليه العبارة في العالم الخارجي(الواقع). فالعبارة " الطلبة" في الجملة الآتية: حضر الطلبة الدرس. لها ثلاثة أبعاد: "دال" وهو سلسلة الأصوات:/ ا – ل – ط –ل – ب – ة

([1]) – ينظر: الذكاء الاصطناعي واقعه ومستقبله، آلان بونيه، تر: علي صبري فرغلي، عالم المعرفة، العدد 172، 19ابريل 1993، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص23

([2]) – ينظر: الاقتضاء في التداول اللساني، عادل فاخوري، ، المجلد العشرون، العدد الثالث، أكتوبر، 1989، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص 141

([3]) – ينظر: معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، دومينيك منغنو، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، المركز الوطني للترجمة، ط 01، 2008، تونس، ص 296

/ و"مدلول" وهو المفهوم:(أشخاص يدرسون في الجامعة)، و"مدلول عليه" وهو مجموعة الأشخاص الذين تنطبق عليهم خاصية الدراسة في الجامعة.([1]).

المحتوى القضويّ (contenu propositionnel)

لقد اقترح الفيلسوف"جون سيرل"؛ مقتفيا في ذلك اثر "أوستين" التمييز ضمن القول بين **المضمون القضويّ** للقول **وقوتها المتضمنة في القول**. ويوسم كل منهما لغويا سواء على مستوى الألفاظ المستعملة أو على المستوى التركيبي. ويميز تبعا لذلك بين واسم المضمون القضويّ وواسم القوة المتضمنة في القول. وإذا انطلقنا من القول: ((أعدك بأن آتي غدا)) كان واسم القوة المتضمنة في القول هو أعدك وكان واسم المضمون القضويّ هو آتي غدا. فالقوة المتضمنة في القول هي الوعد والمضمون القضويّ هو ((سيأتي المتكلّم في مكان معيّن وزمان معيّن)) ([2]).

استلزام (implication)

الاستلزام علاقة منطقية تربط قضيّة أو جملة أو جمل بمسار استدلاليّ استنتاجيّ. وتطلق لفظة الاستلزام توسعا على النتيجة التي يفضي إليها المسار الاستدلاليّ. إن انطلقنا من المقدمتين سقراط إنسان وكلّ إنسان فانٍ. وتسمّى العلاقة التي تسمح من الانتقال من المقدمات إلى النتيجة استلزاما (بالانجليزية" entailment") ويمكن التوسع في ذلك وإطلاق لفظ الاستلزام على النتيجة. **والاستلزام الخطابي** أدخل "بول غرايس" هذا المصطلح لتعيين بعض النتائج التي يمكن أن نستخلصها من بعض الأقوال دون أن تعود العلاقة بين النتائج والأقوال إلى علاقة الاستلزام المنطقية. ويميز"غرايس" الاستلزامات الخطابية الوضعية من الاستلزامات الخطابية المحادثية. نحصل على الأولى انطلاقا من الألفاظ اللغوية نفسها. أما الثانية فهي قريبة من الاقتضاءات أو من التخمينات المعجمية.[من ذلك] أن الشاهد ((انقطع زيد عن التدخين)) يفيد الاستلزام الخطابي المحادثي ((كان زيد يدخن)). ونحصل على الاستلزامات الخطابية المحادثية بالاستدلال غير البرهانيّ انطلاقا من الأقوال والحكم المحادثية. فإن اقترح **أ** على **ب** ترشّف قهوة وأجاب **ب** أن القهوة تمنع النوم عنه استلزم قول **ب** استلزاما خطابيا محادثيا أن **ب** لا يريد شرب قهوة.([3]).

([1]) – ينظر: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص 19

([2]) – ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر– آن ريبول، تر: مجموعة من المؤلفين، دار سيناترا. المركز الوطني للترجمة، ط01، 2010، تونس، ص 566

([3]) – ينظر: المرجع نفسه، ص 570

الوجه (modality)

يحدد هنجفلد (**Heugeveld .k**) مفهوم الوجه "**modality**" كالتالي:

(أ) : **الوجه اللازم** (**Inherent modality**): جمع الوسائل اللغوية التي يحدد المتكلم عن طريقها العلاقة القائمة بين احد المشاركين في الواقعة ؛ وتحقق هذه الواقعة،

(ب) : **الوجه الموضوعي**: جميع الوسائل اللغوية التي يقوم المتكلم بواسطتها الواقعة بالنسبة إلى معارفه عن الظروف العامة التي تتحقق فيها الوقائع بوجه عام،

(ج) : **الوجه المعرفي**: جميع الوسائل اللغوية التي يعبر المتكلم بواسطتها عن موقفه من صدق القضية. ([1]).

هي طريقة نحوّر بها مضمون القول وذلك شأن الإمكان مثل زيد يكتب رواية/ زيد يمكن أن يكتب رواية والوجوب مثل: كتب زيد رسالة إلى أهله/ يجب أن يكتب زيد رسالة إلى أهله والزمن مثل يحب زيد ليلى/كان زيد يحب ليلى. ([2]).

ماصدق(extension)

يميز الباحثون ماصدق اللفظ من مفهومه. هب كلمة ((قِطّ)) فما صدقه هو جملة الحيوانات التي تندرج في مقولة القِطط. أما مفهومه فهو جملة الشروط النظرية التي ينبغي أن يستجيب لها موجود من الموجودات للانتماء إلى هذه المقولة. وإن أجملنا الأمر إجمالا شديدا قلنا إن مفهوم اللفظ هو دلالته وان ما صدقه هي الأشياء(أو الشيء) التي يعنيها. ([3]).

– الفعل الكلامي (Acte de langage)

يحتوي الفعل اللغوي – حسب تحليل أوستين – على ثلاثة أفعال تشكل كياناً واحداً، علما بأن هذه الأفعال الثلاثة يقع حدوثها في وقت واحد.

– إن فعل القول acte locutif ou locutionnaire يتفرع إلى ثلاثة أفعال فرعية:

([1]) – ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص165

([2]) – ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر– آن ريبول، مرجع سابق، ص 571

([3]) – ينظر: المرجع نفسه، ص 570

– الصوتي: ويتمثل في التلفظ أو في إنتاج أصوات أو قرع bruit.

– التبليغي: phatique ويتمثل في كون هذه الأصوات والقرع تتوفر على صورة (كلمة) معينة، فضلاً عن انتمائها إلى لغة محددة وخضوعها لقواعد هذه اللغة النحوية.

– الخطابي rhétiqu الذي يجعل هذه الكلمات أو العبارات ذوات دلالة معينة.

– أما الفعل الإنشائي فيتمثل في إنجاز عمل ما بإنتاج الفعل الإنشائي. ويتعلق الأمر هاهنا بتحقيق قصد المتكلم intention.

وفي الأخير هناك الفعل التأثيري perlocutif ou perlocutionnaire والذي بواسطته أحدث وجوبا رد فعل وتأثيراً لدى مخاطبي ، وهذا يعني من جملة ما يعني: بأنني أؤثر على أفكاره ومشاعره. وهذا هو الفعل التأثيري. إن القول التالي " أطفئ الضوء" (صيغة الأمر) يثير لدى مخاطبي – إن هو فهم قصدي – ردّ فعل ومن ثمَّ يقوم بإطفاء الضوء. ([1]).

فالفعل الكلامي يعني: التصرّف الإرادي الذي ينجزه الإنسان بالكلام، فهو، من ثمّ، الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معيّنة، ومن أمثلته: الأمر، والنهي، والوعد، والسؤال، والتعيين، والإقالة، والتعزية، والتهنئة... فهذه كلها "أفعال كلامية". إذا طبقنا هذا المعنى على اللغة العربية فإن "المعاني والإفادات" التي تستفاد من صيغ التواصل العربي وألفاظه: كمعاني الأساليب العربية المختلفة، خبرية كانت أم إنشائية، ودلالات "حروف المعاني"، و"معاني الخوالف"، وأصناف أخرى من الصيغ والأساليب العربية... ([2]).

([1]) – ينظر: مدخل إلى اللسانيات التداولية، الجيلالي دلاش، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، ط01، 1992، الجزائر، ص 23، 24

([2]) – ينظر: الأفعال الكلامية عند الأصوليين؛ دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، مسعود صحراوي، مجلة اللغة العربية، تصدر عن المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، العدد 10، 2004، الجزائر، ص185

المحاضرة الثالثة

قضايا

النحو الوظيفي

– تمهيد

أولا: أداتية اللغة

ثانيا: وظيفة اللغة الأداة

ثالثا: الأداتية والكليات اللغوية

رابعا: الأداتية واكتساب اللغة

اتجه المشتغلون بالنحو الوظيفي في تفكيرهم اللغوي إلى التركيز على عدد من القضايا اللسانية البارزة؛ التي هي من صميم ابستمولوجيا الفكر اللساني ونظرياته، هذه القضايا التي تؤول في المحصلة إلى (وصف بنية اللغات الطبيعية بربطها بما تؤديه هذه اللغات من وظائف داخل المجتمعات البشرية) ([1]).

وانطلاقا من هذا المبدأ فقد أسسوا اهتماما خاصا باللغة في جانبها الوظيفي؛ تولدت عنه إثارة قضايا محددة رأوا فيها الأهمية البالغة، ومن ذلك؛ النظر إلى اللغة بوصفها أداة لها وظيفتها التواصلية في مختلف المواقف، ثم إنهم ربطوا هذه الأداة بسياقات استعمالها؛ وهو ما ينعكس في جانبها البنوي. وذلك ما يمكن أن يتضح لنا من خلال ما يأتي:

أولا: أداتية اللغة

تعد اللغة في المقاربة الصورية موضوعا مجردا، أي مجموعة من الجمل تربط بين مكوناتها علاقات صرفية-تركيبية ودلالية. في هذا المنحى تقارب اللغة على أساس أنها بنية مجردة يمكن أن ندرس خصائصها في حد ذاتها أي بقطع النظر عما يمكن أن تستعمل من أجله.

أما بحسب المقاربة الوظيفية فإن اللغة أداة تسخر لتحقيق التواصل داخل المجتمعات البشرية. من هذا المنظور العبارات اللغوية؛ مفردات كانت أم جملا وسائل تستخدم لتأدية أغراض تواصلية معينة وتقارب خصائصها البنيوية على هذا الأساس.

ولتوضيح مفهوم أدائية اللغة هنا ؛ دعنا نأخذ المثالين التاليين:

(1) أ – أعطيت هندا كتاباً

ب – **كتاباً** أعطيت هندا (بنبر " كتاباً")

الفرق بين الجملة (1أ) والجملة (1ب) في المقاربة الصورية هو فرق بنيوي صرف يكمن في أن المكون المفعول في الجملة الأولى يحتفظ بموقعه الأصلي بعد الفعل في حين انه يرد في الجملة الثانية محتلا للموقع الصدر أي قبل الفعل. أما الفرق بين هاتين الجملتين في أي مقاربة تعتمد مبدأ أداتية اللغة فإنه فرق في القصد أولا يعكسه الفرق البنيوي ([2]).

([1]) – المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي؛ الأصول والامتداد، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص 19.

([2]) – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فتأخير المفعول في الجملة الأولى يعلله أن القصد من إنتاج هذه الجملة إخبار المخاطب بمعلومة " جديدة" غير متوافرة لديه في حين أن تصديره في الجملة الثانية آيل إلى أن القصد من إنتاجها تصحيح إحدى معلوماته باعتبار هذه الجملة رداً على الجملة (2):

(2) بلغني انك أعطيت هنداً قلماً ([1]).

ثانيا: وظيفة اللغة الأداة

إذا نحن سلمنا اللغة الأداة، فما هي وظيفتها ؟، يسخر مستعمل اللغة الأداة لتحقيق أغراض متعددة كالتعبير عن الفكر والأحاسيس والمعتقدات والتأثير في الغير بإقناعه أو ترهيبه أو ترغيبه أو مجرد إخبار بواقعة ما .

إلا أن هذه الأغراض وإن تعددت واختلفت من حيث طبيعتها آوية إلى وظيفة واحدة هي تحقيق التواصل بين أفراد مجتمع ما.

ومن المعلوم أن التواصل يمكن أن يتم عبر قنوات أخرى كالإشارة والصورة إلا أن التواصل عبر هذه القنوات لا يرقى قوة ودقة إلى التواصل المتوسل فيه باللغة.

ومن المعلوم أيضا أن أدوات التواصل غير اللغوية قد تتظافر مع اللغة في انسياق تواصلية مركبة (كالشريط السينمائي مثلا). ([2]).

1. اللغة والاستعمال

يرتبط نسق اللغة ارتباطا وثيقا بنسق استعمالها؛ ويقصد بنسق الاستعمال:

"مجموعة القواعد والأعراف التي تحكم التعامل داخل مجتمع معين".

إن نسقي اللغة والاستعمال نسقان مختلفان لكنهما مترابطان.

ويتجلى هذا الترابط في كون نسق الاستعمال يحدد في حالات كثيرة قواعد النسق اللغوي, المعجمية والدلالية

([1]) – المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي؛ الأصول والامتداد، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص 20.

([2]) – آفاق اللسانيات دراسات– مراجعات – شهادات؛ مجموعة من المؤلفين، إش: هيثم سرحان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط01، 2011، بيروت، لبنان، ص 30

والصرفية التركيبية والصوتية؛ وهو ما يُعنى به فرع اللسانيات المسمى باللسانيات الاجتماعية (*). من أبسط الأمثلة في هذا المضمار اختلاف خصائص العبارات اللغوية باختلاف الوسائط الاجتماعية. من الأمثلة الحية من الدوارج الجزائرية؛ قولنا للتعبير عن الحليب الطازج:

- حليب حلو,
- حليب يفيض,
- حليب أخضر.

فهذه الصيغ تعبر عن نفس المعنى لكن كل واحدة منها مرتبطة في استعمالها بحيز جغرافي محدد.

وتتعدد هذه الوسائط كجنس المخاطب، ونسبه، وطبقته الاجتماعية، والمنطقة الجغرافية التي يقطنها أو ينتمي إليها. والمتكلم لا يستعمل نفس النمط من العبارات في مخاطبة أشخاص ذوي تنوع اجتماعي مما ينتج عنه تنوع لغوي. ولنفترض مثلا: أن المتكلم يريد حمل المخاطب على انجاز واقعة ما, ولتكن الواقعة اللغوية مناولة الملح أثناء الطعام

أ- إذا كان المخاطب ذا وضع يساوي وضع المتكلم استعملت عبارة من قبيل:

- ناولني الملح من فضلك.

ب- إذا كان وضع المخاطب يعلو وضع المتكلم استعملت عبارة من قبيل:

- هل تستطيع أن تناولني الملح من فضلك؟.

ج- إذا كان وضع المخاطب دون وضع المتكلم فنستعمل إحدى العبارتين المباشرتين:

- ناولني الملح (أمر)!
- الملح (إضمار للفعل)! ([1]).

(*) - Dictionnaire De Linguistique, Jean. Dubois ,et autres, P435.

([1]) – آفاق اللسانيات دراسات– مراجعات – شهادات؛ مجموعة من المؤلفين، مرجع سابق، ص 31

إن علاقة اللغة بالاستخدام تتحدد من خلال نسق الاستعمال وهذا النسق يتمثل في الأمور التي سبق الإشارة إليها (الجنس, السن, الطبقة الاجتماعية, المنطقة الجغرافية).

2. سياق الاستعمال

يقضي التواصل "الناجح" أن تطابق العبارة المنتقاة سياق استعمالها، وسياق الاستعمال سياقان: سياق مقالي، وسياق مقامي

(أ) . **السياق المقالي (اللغوي)**: يُقصد بالسياق المقالي مجموعة العبارات المنتجة في موقف تواصلي معين, باعتبار أن عملية التواصل لا تتم بواسطة جمل, بل بواسطة نص متكامل في غالب الأحوال. ومن أهم مظاهر الترابط بين عبارات النص الواحد ظاهرة "**العود الإحالي**" المعروفة التي تربط بين ضمير ما ومركب اسمي سابق, كما هو الشأن في النص المبسط الآتي: استعار خالد قلماً من **هند**... وبعد ساعات أعاده **إليها**.

(ب) . **السياق المقامي**: يقصد بالسياق المقامي مجموعة المعارف والمدارك الآنية والعامة والتي تتوافر في موقف تواصلي, معين لدى كل من المتكلم والمخاطب. وهي تنقسم بدوره إلى قسمين:

1 . **المعارف الآنية**: هي المدركات الحسية السمعية والبصرية الموجودة في موقف التواصل ذاته, من مظاهر ارتباط إنتاج العبارات اللغوية وتأويلها؛ من هذا الصنف من المدركات إحالة أدوات الإشارة على أدوات حاضرة أثناء التواصل كما هو الشأن في الجملة:

- ناولني ذلك الشيء من فضلك

ما يبرر الاكتفاء بالإحالة على الذات المقصودة في الجملة السابقة بواسطة المجرد (اسم الإشارة) – مبهمة يفسرها المقام– هو توافر هذه الذات أثناء التخاطب وتعرف المخاطب عليها ([1]).

2 . **المعارف العامة**: وهي ما يشكل مخزون المتخاطبين المعرفي الذهني حين التخاطب ويشمل هذا المخزون كل ما يعرفه كل من المتكلم والمخاطب عن الواقع وعوالم أخرى. أن المخزون المعرفي الذهني يسهم في تحديد سلامة العبارة لغويا, أو عدم سلامتها, فقد تكون العبارة صحيحة لفظا ومعنى, لكن

([1]) – آفاق اللسانيات دراسات– مراجعات – شهادات؛ مجموعة من المؤلفين، مرجع سابق، ص 32

لاحنة بخرقها معرفة من المعارف العامة ومثل ذلك: ما يمكن أن نلخصه في الجملة الآتية غير المقبولة, وإن كان لا يشوب تركيبها شائب:

- صومعة حسان من أجمل آثار مراكش

لا يمكن أن يقبل المخاطب هذه الجملة على سلامة بنيتها إذا كان يعلم أن صومعة حسان من آثار الرباط لا من آثار مراكش.

مثال آخر لارتباط سلامة العبارة اللغوية بالمعارف العامة: من خصائص الجمل الاستفهامية الحاملة لسؤال حقيقي أنها تستدعي جوابا قد يكون نعم أو لا. إلا أن هذه الخاصية (من خصائص الجملة) ترتفع حينما ترد الجملة الاستفهامية حاملة لسؤال غير متوافر في مخزون المخاطب, فالجملة الآتية إذا ما خوطب بها من يجهل أن للسكاكي كتاب عنوانه "مفتاح العلوم" لا تحتمل ردا ايجابيا كان أو سلبيا.

أ - هل قرأت كتاب السكاكي كله؟

ب- نعم - لا !

ومن أمثلة ذلك أيضا ظاهرة ازدواج القصد؛ مثل هذه الجملة:

هل تستطيع الوصول إلى النافذة؟

يمكن أن يختفي وراء الجملة قصدان اثنان:

- أولهما: الاستفهام عن قدرة المخاطب الوصول إلى النافذة إذا كان المخاطب في حالة الترويض على المشي بعد عطب ما.

- وثانيهما: قد يقصد به طلب المتكلم من المخاطب أن يفتح النافذة لتهوية الحجرة, من الواضح أن ترجيح أحد القصدين لا يمكن أن يتم إلا بالنظر إلى السياق التواصل([1]).

3. اللغة والمستعمل

يشكل حمولة العبارة اللغوية ثلاث عناصر أساسية:

أولا: فحواها القضوي

([1]) - المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي؛ الأصول والامتداد، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص23.

ثانيا: القصد من إنتاجها (إخبار, استفهام, أمر أو غير ذلك)

ثالثا: موقف المتكلم من الفحوى القضوي- وهو ما يهمنا هنا-

من مواقف المتكلم إزاء الفحوى القضوي : الموقف المعرفي (يقين, شك, احتمال)

- **إن** خالدا سيسافر.

- **لا أظن** أن خالداً سيسافر.

- **قد** يسافر خالدا.

من مواقف المتكلم: الموقف الانفعالي (تعجب أو استغراب...)

- ما أروع هندا في خمارها الأسود **!**.

- كيف يهاجم التلميذ أستاذه ؟.

من مواقف المتكلم: (الموقف المرجعي إسناد فحوى العبارة إلى مرجع خارجي قصد التملص من مسؤوليته تبليغه).

- **يبدو** أن الحرب ستستمر في سوريا

- **بلغني** أن خالدا سيُوزّر

- **أُرْجِف** أن هندا توقفت عن دراستها

تقوم العبارات الدالة على موقف المتكلم في الجمل السابقة كعلامات تؤشر لحضور المتكلم في الخطاب الذي ينتجه. وإذا نحن أضفنا موقف المتكلم إلى حمولة العبارة اللغوية أصبح من الممكن التمثيل لها بالشكل التالي:

[قصد [موقف [فحوى قضوي]]]. ([1]).

وما تجدر الإشارة إليه هنا أن حيز الموقف المؤشر في هذه الخطاطة يختلف باختلاف وسيطين: وسيط نمط اللغة، ووسيط نمط الخطاب.

([1]) - ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي؛ الأصول والامتداد، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص 24.

ويذهب المتوكل إزاء حضور موقف المتكلم في اللغة والخطاب إلى رصد جانبين اثنين:

(أ) في تنميطنا للغات ميزنا بين لغات "موجهة تداوليا" و" لغات موجهة دلاليا "، مما تنفرد به لغات "النمط الأول" أن حيز حضور المتكلم في خطابه؛ أي حيز الموقف يتسم بغنى جليّ؛ إن من حيث مساحته أو من حيث الوسائل المسخرة لتحقيقه. شاهد ذلك في اللغة العربية التي ادر جناها في النمط الأول من اللغات؛ عدد وتنوع الوسائل الصرفية والتركيبية الدالة على الموقف كأدوات التوكيد والتعجب وصيغهما مثلا.

(ب) أما بالنظر إلى نمط الخطاب فإن حيز الموقف يتسع في الخطابات ذات الطابع الوجداني (مثل بعض أصناف الخطاب الأدبي) في حين انه يتقلص في الخطابات الموضوعية (أو "المحايدة") كالخطاب العلمي الصرف مثلا بل يمكن أن يحال إلى الصفر. ([1]).

ثالثا: الأداتية والكليات اللغوية

لكل نمط من اللغات خصائصه التي ينفرد بها وتميزه عن غيره من الأنماط الأخرى، وتتطلب أن يوضع لكل نمط نحو الخاص. إلا أن للسان الطبيعي خصائص عامة تتقاسمها اللغات على اختلاف أنماطها وهو ما يسمى بـــ" الكليات اللغوية.

إذا كانت الكليات اللغوية في النظريات اللسانية ذات المنحى الصوري؛ كليات صرفية – تركيبية ودلالية. فإنها تجمع في النظريات اللسانية الوظيفية بين الوظيفة والصورة، بين بنيات معينة وما تسخر هذه البنيات لتأديته من أغراض تواصلية. وبتعبير أدق يمكن القول أن ما يجمع بين اللغات مجموعة من الوظائف تأتلف اللغات أو تختلف في التراكيب التي يُتوسّل بها في تحقيق هذه الوظائف.

مثال ذلك إن تصحيح المعلومات الذي مر بنا وظيفة من الوظائف الكلية تحقق حسب أنماط اللغات؛ إما عن طريق الرتبة أو عن طريق صرفات معينة أو بواسطة تراكيب مخصوصة (" الفصل" أو " شبه الفصل" مثلا")([2]).

([1]) – ينظر: أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات؛ حصيلة نصف من اللسانيات في الثقافة العربية، حافظ اسماعيلي علوي– وليد أحمد العناتي، الدار العربية لعلوم ناشرون، ط01، 2009، بيروت، لبنان، ص 38.

([2]) – ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي؛ الأصول والامتداد، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص 35.

رابعا: الأداتية واكتساب اللغة

يُفطر الطفل باعتباره كائنا بشريا على مجموعة من المبادئ العامة – هي ما أسميناها سابقا بالكليات اللغوية – تمكنه بمعونة محيطه من اكتساب لغة معينة؛ لغة العشيرة اللغوية التي ينمو فيها.

حسب المقاربة الوظيفية لا يكتسب الطفل قدرة لغوية محضة بل قدرة على التواصل مع محيطه الاجتماعي، ولا يتعلم أصوات لغته وقواعد صرفها وتركيبها بل يتعلم معها ما تؤديه من أغراض تواصلية. بتعبير آخر يكتسب الطفل في محيط اجتماعي معين نسقين مترابطين؛ نسق اللغة ونسق استعمالها معاً. يستضمر الطفل أثناء عملية الاكتساب لقواعد لغته ويستضمر في ذات الوقت ما يحكم استعمالها في مقامات التواصل. يختزن متعلم اللغة العربية مثلا قاعدة نقل احد مكونات الجملة إلى الموقع الصدر ويختزن معها في وقت واحد أنها تجري في موقف معين، حين يكون المقصود من التواصل تصحيح إحدى معلومات المخاطب. ([1]).

([1]) – ينظر: أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات؛ حصيلة نصف من اللسانيات في الثقافة العربية، حافظ اسماعيلي علوي– وليد أحمد العناتي، مرجع سابق، ص 39.

المحاضرة الرابعة

القدرة اللغوية والقدرة التواصلية

1 . القدرة اللغوية (competence linguistique)

2 . القدرة التواصلية (communicative competence)

3 . القدرة اللغوية والقدرة التواصلية في التراث العربي

1 – القدرة اللغوية (competence linguistique)

1.1 - مفهوم القدرة اللغوية: وتعرف أيضا بـــ" **الكفاية النحوية**"([1])؛ وهي أحد المفاهيم الأساسة في النظرية اللسانية التحويلية التوليدية؛ وقد عالجه نعوم تشومسكي انطلاقا من ثنائيته المشهورة "القدرة/الأداء competence / performance"؛ ولتوضيح هذه الثنائية يذهب إلى (أن موضوع النظرية اللغوية في المقام الأول متكلم–سامع مثاليان، يحييان في جماعة لغوية متجانسة تماما، ويعرفان لغتهما معرفة ممتازة، وعند استخدام معرفتهما اللغوية في الكلام الفعلي لا يتأثران بتلك القيود المنفكة الصلة لغويا؛ مثل:

– الذاكرة المحدودة،

– الشرود والاضطراب،

– الانحراف في الانتباه والاهتمام،

– الأخطاء (العارضة أو النمطية) ([2]).

فالقدرة اللغوية (competence) هي المعرفة اللاواعية والضمنية بقواعد اللغة، التي يكتسبها المتكلم منذ طفولته؛ وتبقى راسخة في ذهنه، فتمكنه فيما بعد من إنتاج العدد غير المحدود من الجمل الجديدة التي لما يسمعها من قبل، إنتاجا ابتكاريا، لا مجرد تقليد ساكن، ثم التمييز بين ما هو سليم نحويا وبين غيره. وتتجسد هذه القدرة في الواقع اللساني المادي من خلال المظهر الكلامي المعروف بالأداء أو التأدية " performance" وهو الاستعمال الفعال للغة في مواقف مادية واضحة ([3]).

وبهذه الصورة فرق تشومسكي بين معرفة المتكلم– السامع للغة ما الموصوفة عنده بـــ(**القدرة** competence) عن الاستعمال الفعلي للغة في مواقف محددة الموصوف عنده بـــ(**الأداء** performance)، وبالنسبة له فإن المتكلم– السامع المثالي يمكنه أن يكتشف النظام القاعدي الأساسي " النحو" Grammatik"

([1]) - Dictionnaire De Linguistique, Jean. Dubois,et autres, Larousse,2002, paris, France. P100.

([2]) – مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى نعوم تشومسكي، بريجيته بارتشت، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط01، 2004، القاهرة، مصر، ص287

([3]) – ينظر: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، شفيقة العلوي، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، ط01، 2004، بيروت، لبنان، ص44

الذي يمتلك بالنسبة له "واقعا عقليا "أي لم ينجزه عالم اللغة، بل هو مركب في النظام الإنساني للإدراك، ويشير فرض الواقع اللغوي للقدرة اللغوية إلى شيئين آخرين هما **الإبداعية، إمكانية التعليم والاكتساب اللغوي)** ([1]).

وإذا كانت القدرة اللغوية هي هذه المعرفة الضمنية التي يملكها المتكلم عن بنى اللغة والتي تسمح بأن يفهم وينتج عددا لا يتناهى من الجمل. فإن الأداء يمثل (الممارسة الفعلية والآنية لهذه القدرة اللغوية وإخراج لنظامها اللغوي الضمني من حيزه اللاشعوري إلى الحيز الإدراكي الفعال في ظروف مادية متنوعة، فالقدرة والأداء وجهان يتكاملان من أجل إنجاز الفعل اللساني(الكلام)؛ فالقدرة هي المعرفة بقواعد اللغة والأداء هو الانعكاس المباشر لها، بيد أنه ليس الانعكاس التام لكونه يتأثر بالعوامل الخارجية السالفة الذكر (الذاكرة المحدودة، الشرود والاضطراب...)، ولذلك يبدو الأداء ذو طابع فردي يتمايز من شخص لآخر؛ بحسب اختلاف هذه العوامل)([2]).

2.1 – سمات القدرة اللغوية: اتصفت الكفاءة اللغوية بعدد من السمات البارزة والمميزة لها؛ مما اصطبغت به النظرية التحويلية التوليدية عامة ومن ذلك:

أ – **الإبداعية:** إنها تتمثل في قدرة الإنتاج غير المحدود للجمل، انطلاقا من العدد غير المحصور من الكلمات والقواعد الثابتة في ذهن المتكلم، فهناك ما يمكن تسميته بلا نهائية اللغة؛ ويرى تشومسكي أن كل لغة تتكون من مجموعة من الأصوات، ومع ذلك فهي تنتج أو تولد جملا لا نهاية لها...فإذا كان الأمر كذلك فإن اللغة خلاقة (creative) بطبيعتها؛ أي إن كل متكلم يستطيع أن ينطق جملا لم يسبق له أن نطقها أحد من قبل، ويستطيع أن يفهم جملا لم يسبق له أن سمعها من قبل... ([3]).

فالإبداعية بالنسبة لتشومسكي ليست حكما قيميا؛ إنه لا يفهمها على إنها إبداعية مصطنعة بل هي التعامل العادي باللغة بمفهوم همبوليت؛ أنها استعمال لا نهائي من وسائل محدودة، ويكون المتكلمون قادرين على ذلك؛ أي أنها ظاهرة يمكن أن تبنى من رصيد محدود من وحدات لغوية وقواعد وائتلافها في منطوقات لغوية كثيرة متجددة دائما. وليس مستعمل اللغة على وعي بهذه الإبداعية؛ ولكن اللغوي يشيدها بوصفها نموذجا للكفاءة اللغوية([4]).

([1]) – مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى نعوم تشومسكي، بريجيته بارتشت، مرجع سابق، ص288

([2]) – محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، شفيقة العلوي، مرجع سابق، ص45

([3]) – ينظر: النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، عبده الراجحي، مرجع سابق، ص 114

([4]) – ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى نعوم تشومسكي، بريجيته بارتشت، مرجع سابق، ص288

ب- **الاكتساب وإمكانية التعلم:** تشير هذه السمة إلى مصطلح الاكتساب؛ ومن ثمة إمكانية تحصيل القدرة اللغوية وتعلمها ضمن الجماعة اللغوية التي ينشأ في أحضانها مستعمل اللغة (وقد استخدم تشومسكي بحوثا حول الاكتساب اللغوي (Spracherwerb) معيارا لكفاية نظريته اللغويةـــ، فاكتساب الطفل اللغة وهو الذي يتمها في غضون سنواته الخمس تقريبا- وفي الحقيقة حتى النضج الدراسي- لا يوضح بنماذج ميكانيكية- سلوكية. إن تلك المدة الزمنية قصيرة للغاية، والطفل لا يستطيع في هذا الوقت أن يسمع إلا مقدارا متدنيا ضئيلا من كل الجمل الممكنة في لغة ما. غير أن ذلك يهيئ امتلاك نظام قاعدي يجيز له أن يستخدمه بكفاءة في كل مواقف اللغة) ([1]).

مع هذه الأهمية التي تتجلى بها القدرة اللغوية، فإن الدارسين الوظيفيين يطرحون عديد الأسئلة المهمة عن طبيعة هذه القدرة والتواصل اللغوي الإنساني ومتطلباته عامة؛ ومن ذلك؛ (ما الذي يمكن المخلوقات البشرية من إقامة التواصل بينها بواسطة اللغة؟، وكيف ينجح في إقامة هذا التواصل؟، وإذا كانت هذه المخلوقات مهيأة فطريا للقيام بذلك بفضل توافرها على قدرة خاصة بها؛ فما هي طبيعة هذه القدرة؟، وما هي مكوناتها؟، وكيف تتفاعل هذه المكونات فيما بينها؟، وهل ترتبط هذه القدرة بعلاقة مع غيرها من انساق العقل الأخرى؟، وبأية طريقة؟)([2]). ويمكن أن نضيف إلى هذه الأسئلة تحديدا حول نجاعة المعرفة اللغوية في التواصل الإنساني بمعزل عن سياق إنتاجها وحيثياته؛ ما يأتي: هل هذه القدرة اللغوية بمفردها كفيلة بتحقيق الفعل اللساني؟، وهل مجرد تحصيلها والمعرفة بها قادر على تحقيق التواصل اللغوي الايجابي؛ فيما نسعى إليه باستراتيجيات الخطاب؟.

ترى النظرية التحويلية التوليدية – اختصارا – أن **الكفاءة اللغوية** هي المرتكز الأساسي للتواصل الإنساني؛ وإن تمظهرها من خلال **القدرة/الأداء** كفيل بتفسير الفعل اللساني البشري عامة؛ واعتماد هذه الثنائية يمكن أن يكون أساسا متينا لتحصيل اللغة وتعلمها ونشرها؛ ولذلك وجد فيها كثير من الدارسين البنويين المعاصرين الأنموذج للتحليل اللغوي، ولنجاعة المعرفة اللغوية في فهم مختلف الظواهر اللغوية وتفسيرها؛ ومع ما مس هذه النظرية اللغوية من تطور في العقود الماضية – بما أضافه رائدها وأتباع النظرية من مفاهيم وتوسعة للنموذج المعرفي الأول- فإن جوهرها ظل محافظا على هذه المنطلقات المعرفية المنهجية.

([1]) – ينظر: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى نعوم تشومسكي، بريجيته بارتشت، مرجع سابق، ص289

([2]) – التواصل اللغوي مقاربة لسانية وظيفية (نحو نموذج لمستعملي اللغات الطبيعية)، عز الدين البوشيخي، مكتبة لبنان ناشرون، ط01، 2012،بيروت، لبنان، ص08

وبالنسبة للسانيين الوظيفيين فإن الكفاءة اللغوية ذات أهمية بالغة في فهم الحدث اللساني؛ ولكنها ليست ذات جدوى بمعزل عن ظروف إنتاج اللغة وحيثيات استعمالها، ولذلك فقد كانت الأسئلة السابقة السبيل الأمثل الذي مهد عندهم لظهور أبحاث لسانية متنوعة حول مفهوم جديد في الدراسات اللسانية المعاصرة هو "**القدرة التواصلية** (communicative competence)" الذي عرف اتساع مجال استعماله بالأخص في الأبحاث اللسانية الوظيفية المعاصرة؛ مع انجذاب عدد كبير من اللسانيين إلى الاشتغال به.

2 . القدرة التواصلية (communicative competence)

1.2- مفهوم القدرة التواصلية: وتعرف بـــ" المقدرة التخاطبية" وبالكفاية الإبلاغية عند اللساني الأمريكي "ديل. هايمز" (Dell . Hymes) (*)؛ التي تبدو في نظره (في حسن اختيار اللون اللغوي الذي سيستعمل وفقا للمستمع، للمكان، للزمان، أو بمقتضى المنشط اللساني؛ فهي مماثلة للقدرة اللغوية؛ وإذا كانت هذه الأخيرة هي معرفة ضمنية يملكها المتكلم عن بنى اللغة والتي تسمح له بأن يفهم وينتج عددا لا يتناهى من الجمل-كما بينا سلفا- فإن الكفاية الإبلاغية هي تلك التي تسمح بإدراك الجمل لا بوصفها وقائع لغوية وحسب، بل أيضا بوصفها وقائع مناسبة اجتماعيا، وبفضل اكتساب هذه الكفاية يصبح المتكلم قادرا على تمييز اللحظات التي يتعين فيها الكلام أو عدمه ويتعلم ما يلزم الكلام فيه وما لا يلزم، وأين يتكلم، وكيف يتكلم، وهكذا يغدو قادرا على المشاركة بنفسه في مناشط الجماعة اللغوية، وتقويم قيام الآخرين بهذه المناشط)([1]).

ويشتمل مصطلح الكفاية الاتصالية على مفهومين أساسيين: هما **المناسبة** Appropriateness، و**الفعالية** Effectiveness. فقد تكون الرسالة مناسبة للموقف، لكنها لم تكن فعالة كما ينبغي، وفي مثل هذا التعريف يستلزم الأمر الحكم على نتيجة الاتصال، ومدى فعاليته، وليس فقط على عملية الاتصال ذاتها([2]).

ويوضح "د. هايمز" أبعاد الكفاية الإبلاغية على الصعيد التعليمي؛ وصور اكتسابها عند المتعلم بقوله: (أنه لا يجوز اعتبار كسب الكفاية الإبلاغية بوصفها تلقيحا متأخرا أو زرعا في معارف الولد فعلى العكس.

(*) – لساني أمريكي من مواليد 07 جوان 1927 بمدينة بورتلاند اشتهر بأبحاثه اللسانية الاجتماعية ودراساته الانثربولوجية والاثنوغرافية للمجتمع الأمريكي، تركزت أبحاثه اللسانية الاجتماعية على الجانب الوظيفي للغة، وينسب إليه مفهوم القدرة التواصلية، توفي في 13نوفمبر 2009م . للتوسع ينظر الرابط الالكتروني: www.ar.wikipedia.org

([1]) – ويشار أن هذا المصطلح أول ما ظهر عنده في دراسة له تحت عنوان On Communicative Competence التي نشرها في كتاب علم اللغة الاجتماعي Sociolinguistics. الذي حرره كل من بريد، وهولمز 1972 .Pride and J. Holmes J. B. للتوسع ينظر: اللسانة الاجتماعية، جولييت غارمادي، تر: خليل أحمد خليل، دار الطليعة، ط01، 1990، بيروت، لبنان، ص100.

([2]) – ينظر: تعليم اللغة اتصاليا بين المناهج والاستراتيجيات، رشدي أحمد طعيمة؛ محمود كامل الناقة، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ط01، 2006، سلا، المملكة المغربية، ص 46

أظهرت معطيات متعلقة بالسنوات الأولى لكسب القواعد الانجليزية أن الأولاد يطورون استعمال فوراق الشكل في شتى المواقف والمواضع. وفي الوقت الذي اكتشف فيه شاب أروكاني (Araucan) من تشيلي؛ قواعد الاستفهام في المنظومة اللغوية التي اكتسبها، اكتشف واقعة أنَّ تكرار ملفوظٍ استفهامي هو من جانب المستمع إهانة للمتكلم. إذن يصح التشديد على وجود قواعد استعمال قد تكون قواعد النحو والصرف من دونها غير قابلة للاستعمال تماما.) ([1]).

وقد انصب اهتمام "ديل هايمز" (Dell . Hymes) على سلوك المتحدثين أكثر من اهتمامه بأنماط تغير اللغة وتنوعها النظري؛ فليس هناك شخص عادي أو تجمع بشري مقيد في مخزونه اللغوي بتنوع أو شيفرة واحدة أو برتابة غير قابلة للتغيير قد تحول دون إمكانية التعبير عن الاحترام، أو الإهانة، أو الجدية الساخرة أو حيز الدور... وذلك بالتحول من تنوع إلى آخر. فيتعلم المتحدثون الاختيار من هذا المخزون لتحقيق حاجات تخاطبية متعددة؛ إذ يستطيع معظم الناس مثلا التمييز بين أساليب التعليق على سباق الخيل، وعظة الدينية، كما أنهم يدركون منذ الوهلة الأولى الفرق بين الطرفة، والاستعراض الروائي، أو الوصفي للأحداث([2]).

وفي الحقيقة قام اللغويون الذين يشاركون هايمز اهتمامه الرئيسي في هذا الجانب المقيد اجتماعيا من جوانب السلوك اللغوي المتنوع للمتحدث بتبني طرق كثيرة جدا لدراسة المقدرة التخاطبية؛ إحدى الطرق الناجحة جدا في فحص طرق الدلالة على المعاني مثلا : التهكم، والعدوانية، والاحترام، والود. هي البدء في فحص التوجه النفسي- الاجتماعي للمتحدث مع شريكه في المحادثة على محورين: البعد الاجتماعي والتضامن (أو الود). لدى بعض اللغات أنظمة قواعدية تسمح للمتحدثين بتمييز هذه العلاقات مع المتخاطبين بطريقة رسمية. منن الأمثلة الجلية اللغات الأوروبية المتعددة؛ كالفرنسية، والألمانية، والإيطالية، حيث تم تحليل اختيار ضمير المخاطب الودي أو اللطيف (" tu " (أنت) مقابل "vous " (انتم) في الفرنسية لمخاطبة الفرد) على أنها مقيدة بشكل خاص بهذين المتغيرين (أو المحورين)؛كما يختلف تأثيرها المقيد اختلافا دقيقاً في أوقات مختلفة وفي بلدان مختلفة وفقاً للمواقف الاجتماعية والسياسية الواسعة النطاق. إحدى نتائج ذلك هو أن استعمال الضمير في معظم البلدان الأوروبية هو تبادلي بشكل رئيسي، في حين كان يستعمل في يوم من الأيام للرمز بعدم تكافؤ القوى ([3]).

([1]) – اللسانة الاجتماعية، جولييت غارمادي، مرجع سابق، ص101

([2]) – ينظر: الموسوعة اللغوية، كولنج،ن.ي، تر: محي الدين حميدي، عبد الله الحميدان، منشورات جامعة الملك سعود، ط01، 1421هـ، الرياض، السعودية، مج02، ص504

([3]) – ينظر: الموسوعة اللغوية، كولنج،ن.ي، تر: محي الدين حميدي، عبد الله الحميدان، مرجع سابق، ص505

2.2 – أنواع الكفايات الاتصالية: يميز كانال وسوين Swain & Canale بين أربعة أنواع من الكفايات الاتصالية هي:

1. **الكفاية النحوية** Grammatical Competence، وتشير إلى ما يقصده تشومسكي من الكفاية اللغوية، أي معرفة نظام اللغة، والقدرة الكافية على استخدامها.

2. **الكفاية اللغوية الاجتماعية** Sociolinguistic Competence، وتشير إلى قدرة الفرد على فهم السياق الاجتماعي الذي يتم من خلاله الاتصال، بما في ذلك العلاقات التي تربط بين الأدوار الاجتماعية المختلفة، والقدرة على تبادل المعلومات، والمشاركة الاجتماعية بين الفرد والآخرين.

3. **كفاية تحليل الخطاب** Discourse Competence، وتشير إلى قدرة الفرد على تحليل أشكال الحديث، والتخاطب من خلال فهم بنية الكلام، وإدراك العلاقة بين عناصره وطرق التعبير عن المعنى، وعلاقة هذا بالنص ككل.

4. **الكفاية الاستراتيجية** Strategic Competence، وتشير إلى قدرة الفرد على اختيار الأساليب والاستراتيجيات المناسبة للبدء بالحديث أو لختامه، والاحتفاظ بانتباه الآخرين له، وتحويل مسار الحديث، وغير ذلك من استراتيجيات مهمة لإتمام عملية الاتصال([1]).

3.2– مكونات القدرة التواصلية : تتألف القدرة التواصلية لدى ((مستعمل اللغة الطبيعية)) – في المنظور الوظيفي – من خمس ملكات على الأقل؛ وهي: الملكة ((اللغوية))، والملكة ((المنطقية))، والملكة ((المعرفية))، والملكة ((الإدراكية))، والملكة ((الاجتماعية))، ويعرف "سيمون ديك" (ديك: 1989 : 1 - 2) هذه الملكات الخمس على النحو التالي([2]) :

1 – **الملكة اللغوية:** يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية أن ينتج ويؤول إنتاجا وتأويلا صحيحين عبارات لغوية ذات بنيات متنوعة جدا ومعقدة جدا في عدد كبير من المواقف التواصلية المختلفة.

2 – **الملكة المنطقية:** بإمكان مستعمل اللغة الطبيعية على اعتباره مزودا بمعارف معينة، أن يشق معارف أخرى بواسطة قواعد استدلال تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي والمنطق الاحتمالي.

([1]) – ينظر: تعليم اللغة اتصاليا بين المناهج والاستراتيجيات، رشدي أحمد طعيمة؛ محمود كامل الناقة، مرجع سابق، ص 48، 49

([2]) – ينظر: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، أحمد المتوكل، دار الهلال العربية، ط01، 1993، الرباط المغرب، ص08، 09

3 – **الملكة المعرفية:** يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية أن يُكون رصيدا من المعارف المنظمة، ويستطيع أن يشتق معارف من العبارات اللغوية كما يستطيع أن يختزن هذه المعارف في الشكل المطلوب وأن يستحضرها لاستعمالها في تأويل العبارات اللغوية.

4 – **الملكة الإدراكية:** يتمكن مستعمل اللغة الطبيعية من أن يدرك محيطه، وأن يشتق من إدراكه ذلك معارف، وأن يستعمل هذه المعارف في إنتاج العبارات اللغوية وتأويلها.

5 – **الملكة الاجتماعية:** لا يعرف مستعمل اللغة الطبيعية ما يقوله فحسب بل يعرف كذلك كيف يقول ذلك لمخاطب معين في موقف تواصلي معين قصد تحقيق أهداف تواصلية معينة.

ويقترح على أساس هذا التصور للقدرة التواصلية أن يصاغ ((نموذج مستعمل اللغة الطبيعية)) في شكل جهاز يتكون من خمسة **قوالب** يضطلع كل قالب منها برصيد ملكة من الملكات التواصلية السالف تحديدها. ويكون بذلك ((نموذج مستعمل اللغة الطبيعية)) مؤلفا من خمسة قوالب هي: القالب النحوي، والقالب المنطقي، والقالب المعرفي، والقالب الإدراكي، والقالب الاجتماعي. وتتسم هذه القوالب الخمسة كما يقتضي ذلك مفهوم القالبية نفسه بخاصيتين اثنتين([1]):

أ – يستقل كل قالب عن القوالب الأخرى من حيث مبادئه وإواليات وموضوعه.

ب – إلا أن القوالب الخمس ، رغم استقلالها تتعالق فيما بينها بحيث يفضي بعضها إلى بعض فيكون خرج بعضها دخلا لبعض، كما يتضح من الرسم الآتي([2]):

([1]) – ينظر: الوظيفية بين الكلية والنمطية، أحمد المتوكل، دار الأمان للنشر والتوزيع، ط01، 2003، الرباط، المغرب، ص35

([2]) – آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص10

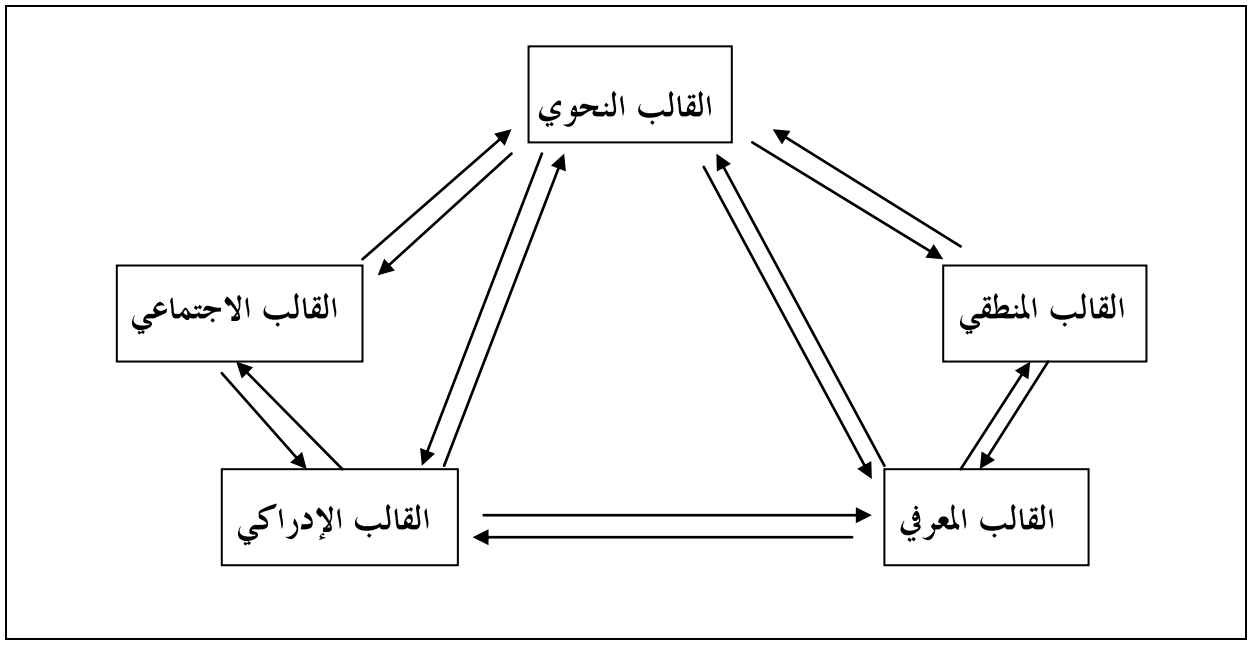

4.2- خصائص القدرة التواصلية : يذهب ساندرا سافجنون" Savignon, S " إلى أن الكفاية الاتصالية مفهوم له سماته التي تميزه وخصائصه المعينة له ويجملها فيما يأتي(1):

أ – إن الكفاية الاتصالية مفهوم متحرك Dynamic وليس ساكناً Static، إنه يعتمد على مدى قدرة الفرد على تبادل المعنى مع فرد آخر أو أكثر. إنها إذن علاقة شخصية بين طرفين Interpersonal أكثر من أن تكون اتصالاً ذاتياً Intrapersonal أي حواراً بين الفرد ونفسه.

ب – إن الكفاية الاتصالية تنطبق على كل من اللغة المنطوقة والمكتوبة، وكذلك نظم الرموز المختلفة.

ج – إن الكفاية الاتصالية محددة بالسياق. إن الاتصال يأخذ مكانه، أو يمكن أن يحدث في مواقف لا حد لها، إنها تتطلب القدرة على الاختيار المناسب للغة والأسلوب في ضوء مواقف الاتصال والأطراف المشتركة.

د – إن هناك فرقاً بين الكفاية والأداء. الكفاية تعني القدرة المفترض وجودها والكامنة وراء الأداء، بينما يعتبر الأداء التوضيح الظاهر أو المكشوف Overt Manifestation لهذه القدرة. إن الكفاية هي ما تعرف أما الأداء فهو ما تفعل، وهو الشيء الوحيد الذي يمكن ملاحظته، وفي ضوئه تتحدد الكفاية وتنميتها وتقويمها.

(1) - Savignon, S. :Communicative Competence, Theory and Classroom Practice, Reading, Adison - Wesley Publishing Company, 1983.pp 09.10.

هـــ – إن الكفاية الاتصالية نسبية وليست مطلقة، من هنا يمكن التحدث عن درجات للكفاية الاتصالية، وليس عن درجة واحدة.

في حين يذهب اللساني العربي " أحمد المتوكل" إلى أن **القدرة التواصلية** تتسم بسمتين أساسيتين([1]):

أولا: كونها قدرة شاملة.

ثانيا: كونها قدرة واحدة لا تتجزأ.

أولا: القدرة التواصلية قدرة شاملة: يترتب عن اعتبار القدرة قدرة تواصلية الأمران الهامان التاليان:

أ – لا تنحصر قدرة مستعملي اللغة الطبيعية في معرفة القواعد الصرفية التركيبية والصوتية الدلالية بل تتعداها إلى معرفة القواعد التداولية، القواعد التي تمكن مستعمل اللغة الطبيعية من إنتاج وفهم عبارات لغوية سليمة في مواقف تواصلية معينة قصد تحقيق أغراض معينة.

بتعبير آخر، ليست ثمة قدرتان اثنتان مستقلتان "قدرة نحوية" صرف و" قدرة تداولية"بل قدرة تواصلية واحدة. ويؤيد التوحيد بين هاتين القدرتين أن التداول لا يمكن عزله عن المكونات الأخرى التي يحكمها سواء أكانت تركيبا أم صرفا أم دلالة .

ب – لا تنهض بعملية التواصل القدرة اللغوية الصرف وحدها بل تساهم فيها قدرات أخرى منطقية ومعرفية وإدراكية واجتماعية وغيرها. فمستعمل اللغة الطبيعية يستخدم أثناء عملية التواصل، بالإضافة إلى ملكته اللغوية، ملكات ذات طبيعة غير لغوية تسهم في إنجاح هذه العملية.

ثانيا: القدرة التواصلية قدرة واحدة لا تتجزأ : سبق أن بينا أن تجزيء القدرة اللغوية إلى قدرات تتعدد وتختلف بتعدد واختلاف أقسام الخطاب (من الكلمة إلى النص) ينبني على افتراض غير وارد . فالقدرة التواصلية قدرة واحدة ، هي ما يمكن مستعملي اللغة الطبيعية من التواصل فيما بينهم بغض النظر عن نوع العبارات اللغوية وحجمها. وستتاح لنا الفرصة في مبحث لاحق لتبيان أن بنية ذات طبيعة تواصلية تعكس مكونات عملية التواصل تثوي خلف التنظيم الداخلي لجميع أقسام الخطاب وإن كانت تتحقق التحقق الأمثل في النص.

إن رفع تجزيء القدرة التواصلية والسعي في توحيدها لا يخص أقسام الخطاب وإنما يمتد إلى أنماطه كذلك. فليست هناك – خلافا للمعتقد السائد– قدرات تختلف باختلاف أنماط الخطاب كأن تكون للخطاب الأدبي

([1]) – ينظر: الوظيفية بين الكلية والنمطية، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص 19

(الإبداعي، الفني) قدرة تخالف قدرة الخطاب العادي. وقد أشرنا إلى أن لكل الكائنات البشرية نفس القدرة على إنتاج أنماط الخطاب وفهمها إلا أن بعضهم يُفعِّل ويغذي جانب معينة من هذه القدرة أكثر من بعض. فالأدباء مثلا يختلفون عن غيرهم من مستعملي اللغة الطبيعية في كونه يفعلون الجانب "الفني" من القدرة اللغوية العامة ويغذونه في حين أن هذا الجانب من القدرة يظل" **كامنا**" عند الآخرين ولكنه غير منعدم يمكنهم من فهم وتأويل الخطاب الأدبي وان لم ينتجوه، ولعل من المقاربات المعقولة التي تعكس هذا التصور المقاربة التي تقترحها النظرية الوظيفية حيث القدرة التواصلية مجموعة من القدرات أو " **الملكات**" تُفعَّل وتتفاعل في عمليتي إنتاج الخطاب وفهمه وفقا للموقف التخاطبي ونمط الخطاب.

ولنوضح هذه المقاربة عن طريق الرسم الآتي([1]):

القدرة التواصلية

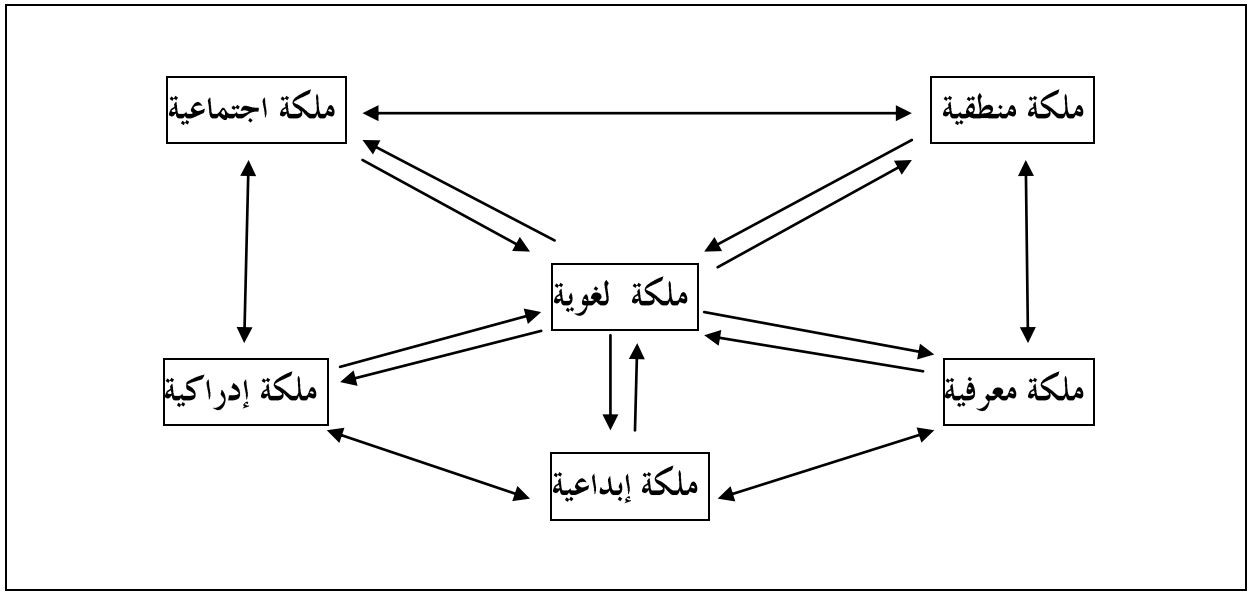

ولقد بدا لي إن نجاح أي مخاطب في تفعيل استراتجيات الخطاب بصفتها وسيلة وآلية محفزة للتواصل الفاعل مرهون بامتلاكه وهي الكفاية الإبلاغية (communicative compétence)؛ وذلك يعني أن مجرد امتلاك المرء السجل اللغوي ليس بكاف لممارسة استراتيجيات الخطاب؛ وبوصف استراتيجيات الخطاب بنية للتواصل الايجابي فهي محكومة بهاتين الكفاءتين: الكفاءة اللغوية، والكفاءة الإبلاغية، ويمكن أن نمثل لذلك بهذه الخطاطة البسيطة :

([1]) – ينظر: الوظيفية بين الكلية والنمطية، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص20

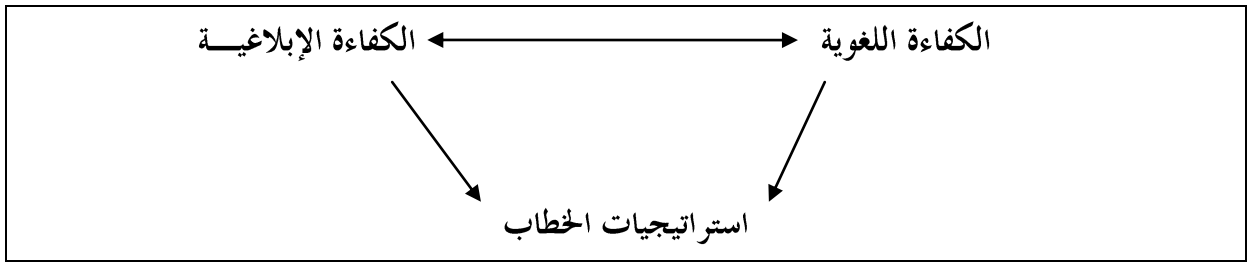

فالذي يلاحظ أن الكفاية الإبلاغية ضرورة فاعلة وغيابها عنصر عائق أو شرط اختلال لاستراتيجيات الخطاب فمع اكتساب هذه الكفاية ، يصبح المرء قادرا على تمييز اللحظات التي يتعين فيها الكلام أو عدمه ،ويتعلم ما يلزم الكلام فيه وما لا يلـــزم وأيـــن يتكلم ، وكيف يتكلم وهكذا يغدو قادرا على المشاركة بنفسه في مناشط الجماعة اللغوية وتقويم قيام الآخرين بهذه المناشط . وعندما يتعلم الطفل اللغة، فإنه يتعلم في ذات الوقت ما هو جدير بالنظر فيه وما هو ليس كذلك؛ فعندما يتعلم بأن هناك خزانة بالغرفة، فإننا لا نعلمه الشك فيما إذا كان ما سيراه بعد ذلك هو دائما خزانة أو خداعا للبصر...([1]).

5.2- القدرة اللغوية والقدرة التواصلية في التراث العربي: بالنظر إلى المنزلة الرفيعة التي بلغها مفهوم " القدرة اللغوية والتواصلية" في الفكر اللساني المعاصر؛ فإن التساؤل يطرح نفسه عن ورود هذين المفهومين في الفكر اللغوي العربي القديم، سواء أكان ورودا صريحا أو ضمنيا.

اشتغل اللغوي العربي بمختلف الظواهر المرتبطة جوهريا باللغة العربية ونصوصها؛ و لم يكن ليغيب عن ذهنه الإحساس بفهم اللغة ووظائفها واعتبار الملكة اللسانية أساسا متينا لنظامها؛ ولعل أوضح مثال عن هذا الحدس المعرفي ما نجده عند ابن خلدون (ت 808هـــ) في فهم اللغة وإدراكه المبكر لمفهوم الملكة اللغوية؛ وذلك في قوله: (في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده. وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم) ([2]).

ويوضح في موضع آخر طبيعة الملكات في اللغات البشرية؛ مبينا أنها أشبه بالصناعات؛ وذلك في قوله: (إعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان، للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا

([1]) – ينظر: استراتيجيات الخطاب في رواية الثلاثة للبشير الإبراهيمي، إبراهيم براهمي، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ط01، 2013، عنابة، الجزائر، ص35

([2]) – المقدمة، ابن خلدون، ضبط ومراجعة: خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر العربي، د.ط، 2001، بيروت، لبنان، ص753

حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع) ([1]).

هذا فيما يخص القدرة اللغوية؛ ولبلوغ هذا القصد العلمي فيما يتعلق بالقدرة التواصلية وتبصر اللغوي العربي بها؛ يدعونا اللساني"عز الدين البوشيخي" (إلى تفحص نصوص هذا الفكر وتأملها واستنطاقها مهتدين بمعرفتنا اللسانية الراهنة. وليس بغريب ولا جديد؛ فقد سبق أن اعتمد اللساني أحمد المتوكل في أعماله الرائدة هذا المنهج واستدل على جدواه؛ وبين أن اللغويين العرب القدماء لم يقصروا عنايتهم على دراسة اللغة فحسب، بل عنوا أيضا بالمتكلم، وأقروا بأهمية دوره في إنتاج الخطاب، حيث عُدَّ – في مستوى أول– وسيطا ينقل "أوضاع اللغة" إلى "أحداث كلامية فعلية". وعُدَّ في مستوى ثانٍ– المسئول عن إنتاج الخطاب ذاته؛ إذ لم يَعُد دوره محصوراً في تحقيق الإمكانات التي يمنحها "نسق اللغة"، وإنما تجاوزه إلى دور"مبدع الخطاب" كما تشهد على ذلك نصوص الجرجاني. وعُدَّ في مستوى ثالث – ليس مسؤولاً فقط عن إبداع الخطاب وتنظيمه بما يوافق مقاصده، بل ومسؤولاً أيضا عن مواضعات النسق اللغوي كالعلامات الإعرابية التي فسرها ابن جني والسكاكي باعتبارها نتاجا لـــ"إرادة المتكلم") ([2]).

ولتفحص النصوص اللغوية العربية؛ يمكن الإشارة في هذا السياق إلى ما جاء في قول الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـــ) (لا يكون متكلِّماً حتى يستعمل أوضاعَ لُغَةٍ على ما وُضعت عليه) ([3]). ففي هذه العبارة يكشف الجرجاني عن دور المتكلم في توجيه اللغة وتراكيبها، فالمزية عنده في المتكلم– السامع وليس في البنية اللغوية مجردة، ولتوضيح ذلك يضيف في موضع آخر (وكنّا اجْتمعنا على أن ((الفصاحَة)) فيما نحن فيه، عبارة عن مزية هي بالمُتكلِّم البتة وجَبَ أن نَعْلَم قطعاً وضرورةً أنهم وإن كَانوا قد جَعلوا ((الفصاحَة)) في ظاهر الاستعمال من صفة اللفظ، فإنهم لم يجعلوها وصفاً له في نفسه، ومن حيث هو صَدَى صوتٍ ونُطْقُ لسانٍ، ولكنهم جعلوها عبارة عن مَزِيَّةٍ أفَادها المتكلم في المعنى) ([4]). وانطلاقا من هذا التصور في تحليل اللغة وفهمها نظر الجرجاني إلى العوامل المؤثرة في التواصل اللغوي مبرزا الدور الرائد الذي ينهض المتكلم – السامع على ما يذهب إليه رواد التحليل اللساني الوظيفي المعاصر للعملية التواصلية.

([1]) – المقدمة، ابن خلدون، مصدر سابق، ص764

([2]) – التواصل اللغوي مقاربة لسانية وظيفية (نحو نموذج لمستعملي اللغات الطبيعية)، عز الدين البوشيخي، مكتبة لبنان ناشرون، ط01، 2012،بيروت، لبنان، ص14

([3]) – دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، د.ط، 2000، القاهرة، مصر، ص 402

([4]) – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وليس ببعيد عن قول الجرجاني ما سبقه إليه من القول العالم اللغوي ابن جني (ت 392هـ) في تفسيره لعلل الفقهاء والنحويين؛ بأنه مما قبلته النفس ورضيت به الطباع مما هو خارج أصلا عن وضع الأبنية اللغوية؛ فالعلل(إنما وردت – فيما هذه حاله – بما كان معلوما معمولا به، حتى أنها لو لم ترد بإيجابه لما أخلَّ ذلك بحاله، لاستمرار الكافة على فِعاله... ولست تجد شيئاً مما علل به القوم وجوه الإعراب إلا والنفس تقبله، والحس منطوٍ على الاعتراف به... ألا ترى أن عوارض ما يوجد في هذه اللغة شيء سبق وقت الشرع وفزع في التحاكم فيه إلى بديهة الطبع؛ فجميع علل النحو إذا مواطئة للطباع) ([1]).

ومن ذلك بيان منزلة المفعول به عند مستعمل اللغة العربية من خلال تحوله إلى نائب الفاعل؛ وذلك في قوله: (إن العرب لما قويّ في أنفسها أمرُ المفعول به , حتى كاد يلحق عندها برتبة الفاعل، وحتى قال سيبويه فيهما: وإنْ كانا جميعا يَهمَّانهم ويَعْنيانهم خصوا المفعول إذا أُسند الفعل إليه، بضربين من الصَّنْعة، أحدهما: تغيير صيغة المثال[الفعل] مسنداً إلى المفعول، عن صورته مسنداً إلى الفاعل، والعِدَّةُ واحدة، وذلك نحو : ضَرَبَ زيدٌ وضُرِبَ، وَقَتلَ وقُتِلَ, وأَكرَم وأُكْرِم، ودَحرج ودُحرِج. والآخر أنهم لم يَرضَوا و لم يَقنعوا بهذا القَدْر من التغيير حتى تجاوزوه إلى أن غيّروا عِدّة الحروف مع ضمِّ أوّله كما غيَّروا في الأول الصورة والصيغة وحدها. وذلك نحو قولهم: أحببتُه وحُبَّ، وأزكمَه اللهُ وزُكِم، وأَضأده الله وضُئد، وأَملأه الله ومُليء. وقال أبو عليّ الفارسيّ: فهذا يدلّك على تمكُّنِ المفعول عندهم وتقدُّم حاله في أنفسهم؛ إذ أفردوه بأنْ صاغوا الفعل له صيغةً مُخالِفة لصيغته وهو للفاعل؛ وهذا ضرْبٌ من تدريج اللغة عندهم). ([2]).

وفحوى هذا الكلام وجوهره؛ أن العرب كانت تدرك طبيعة المخزون اللغوي الذي يزود سلوكهم اللغوي ما يحتاجونه من أبنية وعبارات في مختلف المواقف الاجتماعية.

([1]) – الخصائص، ابن جني، تح: عبد الحكيم بن محمد، مكتبة التوفيقية، د.ط، د.ت.ط، القاهرة، مصر، ج01، ص 59، 60

([2]) – المصدر نفسه، مج02، ص 145

المحاضرة الخامسة

الفروق

بين الاتجاه البنوي والوظيفي

– تمهيد

1. وجوه الائتلاف

2 . وجوه الاختلاف

3. الفروق المنهجية بين القدرة اللغوية والقدرة الاتصالية

4 . ما بين الإعراب الوظيفي والإعراب البنيوي

– تمهيد

تأسست البنوية في الأغلب انطلاقا من مقولات اللساني السويسري فرديناند دي سوسير " Ferdinand de Saussure" (1857م – 1913م)، الذي يرجع إليها الفضل في التأسيس العلمي للدرس اللساني المعاصر وضبطه، وكانت مقولته الشهيرة التي ختم بها محاضراته (**إن موضوع اللسانيات الوحيد والحقيقي هو اللغة واعتبارها بذاتها ولذاتها**)([1])؛ هي المقولة التي حددت مجال الدراسة اللسانية في مختلف الاتجاهات البنوية ورسمت أفقها المنهجي؛ هذا الأفق الذي هلل له اللسانيون بالنظر إلى الواقع المعرفي الذي ظهر فيه، فدراسة اللغة لم تكن مستقلة، بل ملحقة بالمعارف الإنسانية الأخرى كالتاريخية، والاجتماعية والنفسية... وكانت تهيمن عليها الأبحاث الفيلولوجية، وتتجاذبها المناهج التاريخية والمقارنة. فاعتبرت أراء دي سوسير فتحا جديدا أشبه بالثورة التكنولوجية العصرية.

وقد أدى النضج في الأبحاث اللسانية منتصف القرن الماضي إلى مراجعات لغوية من ذلك أن هذا التصور تغيرت نظرة كثير من الدارسين إليه؛ فنظروا إليه على أنه حصر للبحث اللساني في البنية اللغوية مجردة؛ وهو ما تعزز في واقع الحال بالفعل فيما ظهر من حلقات لغوية ازدهرت مباحثها خلال القرن العشرين الميلادي؛ انتظمت جميعها في دراسة النظام اللغوي من خلال تكوينه الطبقي، وتركزت دراستهم حول مستوياته؛ فهناك من أهتم بالنظام الصوتي للغة، أو النظام المورفولوجي، وسواهم بالنظام التركيبي وغيرهم اهتم بالنظام العلامي السيميولوجي للغة وهكذا... وتنوعت النظريات والأبحاث وقد تطورت النظريات في نماذجها؛ من نموذج أولٍ، ونموذج ثان.. وفق هذا التصور المعرفي.

غير أن المبدأ الذي ظل جامعا بينها هو وفائها للمنطلقات الأولى: وهي دراسة البنية اللغوية مجردة عن أي عامل سياقي آخر مرتبط بإنتاجها ووظائفها التواصلية، يؤشر على أنها فعل لساني تواصلي بين المتخاطبين؛ بالرغم من محاولات بعض النظريات البنوية الدلالية والسياقية في دراسة اللغة التركيز على البعد الوظيفي الاستعمالي للغة.

وبالرغم من أن دي سوسير نفسه أكد على أن اللغة مؤسسة اجتماعية لها وظائفها في التواصل الاجتماعي إلا أنه لم يحلل هذا البعد الأساسي للغة التحليل الكافي، أو لنقل بعبارة مبسطة أنه لم يعطيه حيزه المعتبر؛ ومن ثمة لم يلق الاهتمام ممن تتبعه من رواد المدرسة البنوية مع التأكيد على عدم إنكارهم لهذا الجانب المهم في الدراسة العلمية للغة.

([1]) - Cours de Linguistique Générale, Ferdinand de Saussure, p317

إن النظريات الوظيفية والنظريات غير الوظيفية البنوية على الرغم من أنها تتقاسم مجموعة من الخصائص، إلا أن ما يخالف بين هاتين الزمرتين من النظريات أكثر مما يؤلف بينهما؛ بحيث يمكن القول بأنهما تشكلان مجموعتين نظريتين متمايزتين. وهذا يرجع بالتحديد إلى الأسس المعرفية الابستمولوجية التي نهض عليه كل من هذين الاتجاهين اللغويين، وهو ما ينتج عنه طبيعيا الافتراق في المنهج المتبع في دراسة اللغة، وفي آليات تحليلها وطرائقه. وسنلاحظ فيما يأتي من كلامنا أن هناك وجوه ائتلاف وهناك وجوه اختلاف بين هاتين المجموعتين من النظريات بشكل مقتضب.

1. وجوه الائتلاف

فيما يتعلق بأوجه الائتلاف يرى اللساني العربي " أحمد المتوكل" أنه يمكن إيجازها فيما يأتي:

أ — تسعى جميع النظريات في وصف خصائص اللغات الطبيعية بمعنى أن جميع هذه النظريات تتخذ موضوعاً لها اللسان الطبيعي.

ب – لا تقف هذه النظريات عند الوصف الصرف للظواهر اللغوية بل تتعداه إلى محاولة تفسير هذه الظواهر.

جـــ – تستهدف هذه النظريات استكشاف الخصائص الجامعة بين اللغات الطبيعية على اختلاف أنماطها؛ أي وضع " **نحو كلي**"([1]) تتفرع عنه ((**الأنحاء الخاصة**)) المقترحة لوصف كل لغة على حدة.

د – تصوغ كل نظرية نموذجا صوريا تفترض فيه أنه يكفل التمثيل الملائم للظواهر الموصوفة.

هـــ – الأنحاء التي تصوغها جميع هذه النظريات إنحاء ((قدرة)) وليست أنحاء ((إنجاز)) : تستهدف النظرية وصف ((قدرة)) المتكلم أي معرفته للغته التي تمكنه من ((الإنجازات)) في مواقف تواصلية معينة.

و – تُفرد جميع هذه النظريات، بدرجات متفاوتة، مستويات للتمثيل للجوانب التركيبية والجوانب الدلالية والجوانب التداولية([2]).

الملاحظ من خلال هذه العناصر أن هناك قواسم عامة مشتركة بين النظريات اللسانية؛ إذ يمكن القول أن الأهداف العامة لهذه النظريات جميعا ترتسم في تفسير الظاهرة اللغوية.

([1]) – ينظر حول هذا المصطلح: مصطلحات النحو الوظيفي من هذه المحاضرات، ص35

([2]) – ينظر: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط02، 2010، بيروت، لبنان، ص14

2 . وجوه الاختلاف

وفيما يخص أوجه الاختلاف فيمكن أن نوجز فيما يأتي ([1]):

أ – تعتبر النظريات غير الوظيفية اللغة نسقا مجرداً (أو مجموعة من الجمل المجردة) يؤدي وظائف متعددة أهمها؛ وظيفة ((التعبير عن الفكر)) ، في حين أن النظريات الوظيفية تعد اللغة وسيلة للتواصل الاجتماعي؛ أي نسقا رمزيا يؤدي مجموعة من الوظائف أهمها وظيفة التواصل.

ب –تعتمد النظريات الوظيفية فرضية أن بنية اللغات الطبيعية لا يمكن أن ترصد خصائصها إلا إذا ربطت هذه البينية بوظيفة التواصل، بيد أن النظريات غير الوظيفية تنطلق من مبدأ أن اللغة نسق مجرد يمكن وصف خصائصه دون اللجوء إلى وظيفته. بعبارة أخرى لا يمكن في نظر الوظيفيين، وصف خصائص العبارات اللغوية وصفا ملائما إلا إذا روعي في هذا الوصف الطبقات السياقية الممكن أن تستعمل فيها. في حين أنه في رأي غير الوظيفيين؛ من السائغ أن يتم وصف خصائص العبارات اللغوية بمعزل تام عن سياقات استعمالها .

ت – ((قدرة)) المتكلم – السامع في رأي غير الوظيفيين معرفته للقواعد اللغوية ((الصرف)) (القواعد التركيبية والدلالية والصوتية). أما ((قدرة)) في رأي غير الوظيفيين، فهي معرفة المتكلم للقواعد التي تمكنه من تحقيق أغراض تواصلية معينة بواسطة اللغة. القدرة إذن حسب الوظيفيين ((قدرة تواصلية)) تشمل القواعد الدلالية والقواعد الصوتية والقواعد التداولية

ث –يتعلم الطفل حسب اللغويين غير الوظيفيين نحو اللغة مستعينًا بالمبادئ التي فطر عليه ويتعلم، حسب اللغويين الوظيفيين، النسق الثاوي خلف اللغة واستعمالها؛ أي العلاقات القائمة بين الأغراض التواصلية والوسائل اللغوية التي تتحقق بواسطتها.

ج – يتصور اللغويون غير الوظيفيين الكليات اللغوية على أساس أنها مجموعة من المبادئ العامة المتعلقة بالخصائص الصورية (التركيبية والصوتية والدلالية) للسان الطبيعي يُفطر عليها الطفل في حين أن اللغويين الوظيفيين يتصورون هذه المبادئ على أساس أنها مبادئ تربط بين الخصائص الصورية للسان الطبيعي ووظيفة التواصل. فالكليات في نظر غير الوظيفيين؛ كليات صورية، وهي في رأي الوظيفيين كليات صورية – وظيفية.

([1]) – ينظر: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص14

ح - يُفرد الوظيفيون- كما تقدم- في النموذج المصوغ لوصف اللغات؛ مستوى يضطلع بالتمثيل للخصائص التداولية (خاصية الاقتضاء والتبئير، خاصية القوى الإنجازية...) ويلاحظ منذ سنوات أن بعض النظريات غير الوظيفية (النظرية المعيار الموسعة مثلا) تضع قواعد معينة تتكفل بالتأويل التداولي للبنيات المولدة تركيبيا ([1]).

ولعل من المناسب الآن في سياق تحديد الفروق المنهجية بين الاتجاه البنوي والوظيفي؛ توضيح الفرق بين الكفاية اللغوية والكفاية الاتصالية، إذ نرى (أن الكفاية اللغوية يقصد بها أن الفرد يعرف النظام الذي يحكم اللغة، ويطبقه بدون انتباه أو تفكير واع به، كما أن لديه القدرة على التقاط المعاني اللغوية والعقلية والوجدانية والثقافية التي تصحب الأشكال اللغوية المختلفة. أما الكفاية الاتصالية فنرى أنها قدرة الفرد على استعمال اللغة بشكل تلقائي مع توفر حس لغوي يميز به الفرد بين الوظائف المختلفة للغة في مواقف الاستعمال الفعلي) ([2]).

3. الفروق المنهجية بين القدرة اللغوية والقدرة الاتصالية

يستعرض جينج هن أهن Jung Hun Ahn الفروق بين الكفاية اللغوية والاتصالية من خلال عدة زوايا نجملها فيما يلي:

1. **من حيث نوع المعرفة:** تشتمل الكفاية اللغوية على المعرفة الضمنية Knoweledge Tacit أو الكامنة الخاصة بالتراكيب اللغوية. بينما تشتمل الكفاية الاتصالية على المعرفة الضمنية، أو الكامنة الخاصة باستعمال اللغة في مواقف اجتماعية وثقافية.

2. **من حيث القواعد الحاكمة:** الكفاية اللغوية تحكمها قواعد معينة، وهي القواعد اللغوية بينما تحكم الكفاية الاتصالية قواعد أخرى خاصة بالعلاقة بين الأشخاص والتنظيمات الاجتماعية والضوابط الثقافية.

3. **من حيث إنتاج اللغة:** إن الكفاية اللغوية تزود الدارس بإمكانات التعميم لعدد غير محدود Infinite من الجمل، بينما تزود الكفاية الاتصالية الدارس بالقدرة على تعميم أشكال السلوك الاتصالي المناسبة لعدد غير محدود من المواقف الاجتماعية.

([1]) - ينظر: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص15

([2]) - تعليم اللغة اتصاليا بين المناهج والاستراتيجيات، رشدي أحمد طعيمة؛ محمود كامل الناقة، مرجع سابق، ص 46

4. **من حيث النحو:** تهتم الكفاية اللغوية بالنسبة للنحو Syntax بمدى التزام الجمل بالقواعد النحوية المحددة، إن الشكل النحوي Grammaticality للجملة هو ما تختص به الكفاية اللغوية، بينما تختص الكفاية الاتصالية بمدى مناسبة الجمل لسياقات محددة، الجانب الاجتماعي هو ما يشغل الكفاية الاتصالية، وليس مجرد البنية النحوية للجمل.

5. **من حيث اكتساب اللغة:** يستند اكتساب الكفاية اللغوية على عوامل وراثية فطرية، بينما تستند الكفاية الاتصالية إلى عوامل ثقافية يواجهها الفرد خلال تعلمه.

6. **من حيث الأداء:** لا تنعكس الكفاية اللغوية بدقة على الأداء اللغوي Linguistic Performance، لأن الأداء اللغوي يتأثر بمجموعة من العوامل التي تتخطى حدود الجانب اللغوي بما في ذلك الكفاية الاتصالية. كما نجد أن الكفاية الاتصالية لا تنعكس أيضاً بدقة على الأداء الاتصالي Communicative Performance، ذلك لأن الأداء الاتصالي يتأثر أيضاً بمجموعة من العوامل التي تتخطى حدود الاتصال نفسه مثل القلق.

7. **من حيث البنية:** تتكون الكفاية اللغوية من بنية سطحية Surface وبنية متعمقة Deep بالإضافة إلى القواعد التحويلية Transformational، بينما يصعب الحديث عن هاتين البنيتين في الكفاية الاتصالية حيث لم تقطع الدراسات بمثل هذا الشيء للآن ([1]).

4 . ما بين الإعراب الوظيفي والإعراب البنيوي

الإعراب في نظرية النحو الوظيفي مفهوم صرفي يرتبط تحديده بصورة الصفة أو الاسم الصرفية، ويعني هذا أن الإعراب يرتبط بالوظائف (الدلالية، التوجيهية، التداولية) المسندة إلى حدود الجملة لا بالعلاقات التركيبية (الشجرية) القائمة بينها؛ فالمركب يأخذ إعرابه بالنظر إلى وظيفته لا بالنظر إلى موقعه . لذلك نجده يحمل نفس الإعراب أياً كان موقعه في الجملة، وحسب "س. ديك" لا يمكن القول إن الإعراب مقولة كلية نجدها في جميع اللغات ؛ فالإعراب بهذا التحديد مقولة تخص اللغات التي يُدَل فيها عن الوظائف بلواصق صرفية كاللغتين العربية واللاتينية. أما اللغات التي لا توجد فيها هذه الخاصية وإنما تدل على الوظائف بوسائل أخرى (كالموقع، وصورة المحمول..) فلا يمكن أن يقال عنها أنها لغات إعرابية ([2]).

([1]) – ينظر: تعليم اللغة اتصاليا بين المناهج والاستراتيجيات، رشدي أحمد طعيمة؛ محمود كامل الناقة، مرجع سابق، ص 47

([2]) – ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص432

وتقف النظريات الصورية والنظريات الوظيفية من مسألة الإعراب موقفين متباينين ويتجلى تباينهما في الأطروحتين التاليتين:

(أ) – بالنظر إلى مفهوم الإعراب نفسه يحدد في النظريات الصورية باعتباره علاقة بنيوية صرفا. ففي نموذج "الربط العاملي"(مثومسكي 1982) مثلا ينتج الإعراب عن علاقة قائمة بين مكونين عامل ومعمول فيه، حاكم ومحكوم؛ كعلاقتي الصرفة بالمركب الفاعل والفعل بالمركب المفعول. أما في النظريات الوظيفية فهو مرتبط بوظيفة هي العنصر الذي يُسنده.

(ب) – يعد الإعراب في النظريات الصورية سمية"كلية" تتقاسمها جميع اللغات. في المقابل يقصر الإعراب حسب النظريات الوظيفية (ديك1997: ب)، على نمط معين من اللغات؛ كاللغة العربية الفصحى حيث يتحقق في شكل لواصق (لاحقة). فللمركبين الفاعل والمفعول إعراب لأنهما يأخذان في هذه اللغات اللاحقتين الدالتين على الرفع والنصب بالتوالي([1]).

نستخلص من التقابل بالنظر إلى هاتين الأطروحتين (أ و ب) إن النظريات الوظيفية بتلافيها التعميم واختزالها الإعراب في لغات دون غيرها تكون اقرب إلى تحقيق أحد أهدافها، إلى تحصيل "الكفاية النمطية"(ديك1997، المتوكل 2003). إلا أنها في المقابل تواجه بالنسبة لنفس اللغات إشكالين اثنين هما التاليان:

أولا: في محاولتهما إرجاع الإعراب إلى وظيفة معينة (تركيبية أو دلالية أو تداولية) تترك الإعراب الوارد في الأمثلة التي من قبيل(أ و ب):

أ – وصلتني رسالة **خالد** .

ب – أعشق مدينة **الرباط**.

دون تفسير ويصبح لزاما عليها أن تجيب على السؤالين الهامين:

أ – هل لهذا الضرب من الإعراب تفسير وظيفي لم يكشف عنه بعد ويستلزم المزيد من البحث؟، أم هل هو إعراب بنيوي صرف حقا لا تفسيرا وظيفيا له؟.

([1]) – ينظر: التركيبيات الوظيفية قضايا ومقاربات، أحمد المتوكل، دار الأمان، ط01، 2005، الرباط، المغرب، ص41

ب – إذا كنا بالفعل أمام إعراب بنيوي محض؛ هل تشكل هذه الظاهرة "ظاهرة مركزية" في اللغة أم هل هي من ظواهر "الهامش" التي يجوز إهمالها؟.

ثانيا: يورد النحاة تراكيب من قبيل:

(أ) – إن زيدا قائم **وعمرا**

(ب)– إن زيدا قائم **وعمرو**

شاهدهم في هذين المثالين إن العطف يمكن أن يكون على "اللفظ"؛ كما في المثال (أ). كما يمكن أن يكون على المعنى؛ كما في المثال (ب).

من منظور الإعراب، تثير هذه المعطيات إن صحت وكانت قابلة للتعميم التساؤل التالي:

إذا توارد على نفس المكون إعراب وظيفي وإعراب بنيوي؛ فما مآل الإعراب الأول؟ هل يبطل أم هل يحجب فقط؟ هل" يلغى" تماما أم هل "يعلق" مؤقتا إلى أن يفيد إظهاره سياق معين كسياق العطف في الجملة السابقة مثلا؟. كيف يمكن لنظرية وظيفية أن تتعامل مع هذه الظاهرة في الحالتين؟. ([1]).

([1]) – ينظر: التركيبيات الوظيفية قضايا ومقاربات، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص42

المحاضرة السادسة

مبادئ

النظرية الوظيفية

1 – النحو من الصورنة إلى الوظيفية

2 – المبادئ المنهجية في النحو الوظيفي

أ– وظيفة اللغات الطبيعية

ب– موضوع الدرس اللساني

ج – النحو الوظيفي نظرية للتركيب والدلالة منظورا إليهما تداوليا

د – سعي الوصف اللغوي إلى تحقيق أنواع من الكفاية

1 – النحو من الصورنة إلى الوظيفية

إذا كان أتباع المنهج الوصفي نظروا إلى الوظيفة انطلاقا من بحث العلاقات التي تربط أجزاء التركيب اللغوي والعناية بها كل العناية. وهذا التركيز على العلاقات البنوية التي تحكم التركيب اللغوي أعطى لفكرة الوظيفية عندهم صبغتهم الخاصة بها، لا تتعدى في الغالب البحث في العلاقات الإسنادية؛ وما يضبط المسند والمسند إليه من قواعد من مثل: الرتبة، التقديم والتأخير، والتذكير والتأنيث... وسواها من قرائن نحوية تعد المرتكز الرئيس في تحليل التراكيب اللغوية. وهو ما رسم إطارا محددا للنحو الوظيفي لا يتجاوز في جوهره البحث في عتبة البنية اللغوية مجردة، وما تؤديه الكلمة في نظامها، وما يحكم رصف مفرداتها داخل هذه البنية من قوانين بنيوية صرفة تؤسس للكفاءة اللغوية للمتكلم.

لقد كان منطلق الوظيفيين مناقضا في جانب كبير منه لهذا المنهج؛ فالبنية اللغوية لا تعزل عن سياقها العام، ويفهم من ذلك أن ليس (للمتكلم الحرية الكاملة في اختيار النظام الذي ينتظم أجزاء الجملة، وإنما هو أسير العلاقات الثقافية واللغوية التي ترسم له أنظمة خاصة في رصف الكلمات؛ فالكلمة المفردة جزء من آلة صغيرة متعاونة هي الجملة، كم أن الفرد جزء من آلة كبيرة متعاونة هي المجتمع، وهذا يعني أن **التحليل الوظيفي** رهبن البيئة اللغوية، ويذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى أن تحليل الجملة – وإن كان يردها إلى مسند ومسند إليه– لا يرتبط بالمعنى النحوي لطرفي الإسناد، أي ليس شرط المسند أن يكون خبرا أو فعلا، ولا شرط المسند إليه أن يكون مبتدأ أو فاعلا، بل يتحدد كل منهما استنادا إلى ما تثيره كل كلمة من كلمات الجملة من الانتباه. فالمسند كما يرى **الاتجاه الوظيفي** هو المعنى غير المألوف المراد إفادة السامع بمعرفته). ([1]).

إن التحليل الوظيفي للغة فتح آفاقا جديدة للنظر في البنية اللغوية من خلال ربطها بسياق إنتاجها، ومقاصد التخاطب بها؛ ليتركز اهتمام الدارس الغوي بذلك حول ما يثير اهتمام السامع والمخاطب، لا عن طبيعة مكونات هذه البنية؛ ويمكن أن يتضح لنا ذلك من خلال هذا المثال:

– فلو قيل لك: أين التقيتَ خالداً ؟.

– قلت: التقيت خالدا في النادي.

فإن التحليل الوظيفي لهذا التركيب اللغوي ينظر إلى المسند بوصفه المعنى المألوف الذي لا يثير ذكره اهتمام المتكلم أو السامع، والمسند إليه هو المعنى غير المألوف المراد إفادة السامع بمعرفته. وعلى هذا الفعل (التقيت) في المثال السابق ينظر إليه في هذا التحليل بوصفه عنصرا ثانويا انتقاليا. و(خالدا) وإن كان مفعولا به هو المسند

([1]) – ينظر: في علم اللغة، غازي مختار طليمات، مرجع سابق، ص191

لأنه معروف دلّ عليه سؤال السائل، و(في النادي) هو المسند إليه، وإن لم يكن مبتدأ ولا فاعلا. لأنه المعنى المقصود تحديده بالسؤال؛ وأهم ما في هذا التركيب، وفي المجمل فإن المبدأ الأساس الذي قام عليه التحليل الوظيفي للتراكيب اللغوية؛ أن لا تحلل الجملة والخطاب معزولين عن السياق الذي وردا فيه. فالعناصر السياقية لها الدور الفاعل في بناء التراكيب اللغوية وصياغتها.

ولعل أهم ما قد يتبين لنا من خلال هذا التحليل (أن النظريات اللسانية المعاصرة تقسم باعتبار تصورها لوظيفة اللغات الطبيعية إلى مجموعتين اثنتين:

- نظريات لسانية ((صورية)).

- نظريات لسانية وظيفية (تداولية).

تضم المجموعة الأولى جميع النظريات اللسانية التي تعتبر اللغات الطبيعية انساقا مجردة، يمكن وصفها بمعزل عن وظيفتها التواصلية في حين أن المجموعة الثانية تشمل النظريات اللسانية التي تعتمد كأحد مبادئها المنهجية المبدأ الآتي: **اللغات الطبيعية بنيات تُحدد خصائصها (جزئيا على الأقل) ظروف استعمالها في إطار وظيفتها الأساسية؛ وظيفة التواصل.**) ([1]).

والملاحظة البارزة من صورة التحليل الوظيفي للتراكيب اللغوية السابقة التي جاءت بها نظرية النحو الوظيفي؛ أن هذا التحليل اللغوي قد استفاد في كثير من جوانبه من ثمرات حلقات الاتجاه الوظيفي السابقة مجيئا عن ميلاد هذه النظرية، إلى جانب استثماره لمفاهيم اللسانيات التداولية والاجتماعية؛ هذا الرفد والتطعيم للنظرية يعطي لها تصورا أعمق للغة وفهما أوسع لها.

ولذلك يعتبر اللساني العربي أحمد المتوكل (أن النحو الوظيفي(functional grammer) الذي اقترحه سيمون ديك في العقود الأخيرة النظرية الوظيفية التداولية الأكثر استجابة لشروط التنظير من جهة ولمقتضيات ((النمذجة)) للظواهر اللغوية من جهة أخرى، كما يمتاز النحو الوظيفي على غيره من النظريات التداولية بنوعية مصادره؛ فهو محاولة لصهر بعض مقترحات نظريات لغوية متعددة (" النحو العلاقيRelational grammer "، "نحو الأحوال Case grammer"،"الوظيفية functionalism")، ونظريات فلسفية (" نظرية الأفعال اللغوية speech acts theory" خاصة.) أثبتت قيمتها في نموذج صوري مصوغ حسب مقتضيات النمذجة في التنظير اللساني الحديث) ([2]).

([1]) – الوظائف التداولية في اللغة العربية، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص08

([2]) – المرجع نفسه، ص09

إن هذه الميزات هي مما يدفع إلى التقصي في أصول هذه النظرية اللغوية، ومما يثير التساؤل: عن أهم المبادئ الأساسة المعتمدة في نظرية النحو الوظيفي، وما ميز هذه النظرية من أسس وقواعد عن باقي النظريات اللغوية المعاصرة.

المبادئ المنهجية في النحو الوظيفي

يمكن تلخيص المبادئ المنهجية الأساسة المعتمدة في النحو الوظيفي فيما يلي([1]):

1. **وظيفة اللغات الطبيعية « الأساسية » هي وظيفة التواصل.**

يفهم من هذا المبدأ إن النحو الوظيفي يسعى إلى أن يكون نظرية لسانية تُوصف اللغات الطبيعية في إطارها من وجهة نظر وظيفية، أي من الوجهة النظرية التي تعتبر الخصائص البنيوية للغات محددة (جزئيا على الأقل) بمختلف الأهداف التواصلية التي تستعمل اللغات لتحقيقها.

2. **موضوع الدرس اللساني هو وصف " القدرة التواصلية** communicative competence".

يفهم من هذا المبدأ إن الثنائية المعروفة « **قدرة/ إنجاز** » يجب إعادة تعريفها. فقدرة المتكلم حسب منظور النحو الوظيفي؛ «**قدرة تواصلية**» بمعنى أنها معرفة القواعد التداولية (بالإضافة إلى القواعد التركيبية والدلالية والصوتية) التي تُمكنُ من الإنجاز في طبقات مقامية معينة، وقصد تحقيق أهداف تواصلية محددة. وفي إطار السعي إلى تحقيق الكفاية التداولية يقترح النحو الوظيفي؛ بنية للنحو تُفرِد مستوى تمثيليا للوظائف التداولية (كوظيفة المبتدأ، ووظيفة البؤرة...) بالإضافة إلى المستويين التمثيليين المخصصين للوظائف الدلالية والوظائف التركيبية.

من الفرضيات الكبرى المعتمدة داخل هذا الإطار النظري أن موضوع البحث اللساني هو" القدرة التواصلية"، وقد حبر كثير من الدارسين عن أصول هذا المصطلح وطبيعته ومقوماته([*])، بالنسبة لتحديد مفهوم القدرة في تصور الوظيفيين يقضي بأن القدرة اللغوية قدرة واحدة تجمع بين النحو والتداول؛ وقد حدها (ديك): بأنها ما يمكن مستعملي اللغة الطبيعية من التواصل فيما بينهم بواسطة العبارات اللغوية؛ أي ما يمكنهم من التفاهم والتأثير في خزينتهم المعلوماتية (المعارف، العقائد، التصورات،

([1]) – الوظائف التداولية في اللغة العربية، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص10

([*]) – ما أوردته هنا هو من نافلة القول، وقد سبق تفصيل القول حول موضوع " القدرة التواصلية"؛ في المحاضرة الرابعة. للتوسع ينظر: المحاضرة الرابعة من هذه المحاضرات، والتي تحمل عنوان" القدرة اللغوية والقدرة التواصلية"، ص 51

الأفكار المسبقة، الإحساسات) والتأثير حتى في سلوكهم الفعلي ([1]). فموضوع البحث اللساني إذاً هو وصف القدرة التواصلية بين طرفي العملية التواصلية (المتكلم- المخاطب).

3. النحو الوظيفي نظرية للتركيب والدلالة منظورا إليهما من وجهة نظر تداولية.

يحدد هذا المبدأ المجال الذي تشتغل به نظرية النحو الوظيفي، وهو التركيب والدلالة؛ فهو لا يختلف على النظريات اللغوية الوظيفية وغير الوظيفية في الاشتغال بمستويي التركيب والدلالة. ولكن الملاحظ أن النحو الوظيفي يختلف عنها في كونه يرتكز على أساس منهجي سياقي هو عدم إقصاء الأبعاد التداولية التي يقتضيها التركيب والدلالة. ([2])

4. يجب أن يسعى الوصف اللغوي الطامح إلى الكفاية إلى تحقيق أنواع ثلاثة من الكفاية:

أ. الكفاية النفسية *psychological adequacy*

يعرّفها سيمون ديك بقوله: (**تنقسم النماذج النفسية** بطبيعة الحال إلى **نماذج إنتاج، ونماذج فهم**؛ تُحدد نماذج الإنتاج: كيف يبنى المتكلم العبارات اللغوية وينطقها، في حين تُحدد نماذج الفهم كيفية تحليل المخاطب للعبارات اللغوية وتأويلها، وعلى النحو الوظيفي الذي يروم الوصول إلى الكفاءة النفسية أن يعكس بطريقة أو بأخرى ثنائية الإنتاج / الفهم هذه) ([3]).

ففي إطار السعي إلى تحقيق الكفاية النفسية يحاول النحو الوظيفي أن يكون قدر الإمكان مطابقا ((**للنماذج النفسية *psychological models***)) سواء منها ((**نماذج الإنتاج**)) أم ((**نماذج الفهم**)). بناء على هذا المطمح يلغي النحو الوظيفي من نموذج النحو القواعد التي شكك في ((واقعيتها النفسية)) كالقواعد التحويلية على سبيل المثال ([4]).

يقضي ضابط الكفاية النفسية حسب التعريف السابق ؛ بأن يصاغ النحو على أساس أن يعكس الإوليات التي تقوم بالذهن في شقي عملية التواصل كليهما، في شق إنتاج المتكلم للخطاب وشق

([1]) – ينظر: التعجب في اللغة العربية من الفكر اللغوي العربي القديم إلى النحو الوظيفي ، نعيمة الزهري، منشورات ضفاف، ط 01، 2014، بيروت، لبنان، ص 136

([2]) – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

([3]) – المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي؛ الأصول والامتداد، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص 66

([4]) – ينظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص11

تحليل المخاطب له وتأويله. وسعيا في تحصيل الكفاية النفسية صيغت نماذج النحو الوظيفي على أساس أن إنتاج الخطاب ينطلق من القصد إلى النطق عبر الصياغة وفقا لهذه الترسيمة([1]):

قصد ⟸ صياغة ⟸ نطق

ب. الكفاية التداولية *pragmatic adequacy*

يعرف سيمون ديك هذه الكفاءة بقوله: "على النحو الوظيفي أن يستكشف خصائص العبارات اللغوية **المرتبطة بكيفية استعمال هذه العبارات**، وأن يتم هذا الاستكشاف في إطار علاقة هذه الخصائص **بالقواعد** والمبادئ التي تحكم التواصل اللغوي؛ يعني هذا أنه يجب ألاّ نتعامل مع العبارات اللغوية على أساس أنها موضوعات منعزلة، بل على أساس **أنها وسائل يستخدمها المتكلم لإبلاغ معنى معيّن في إطار سياق تحدده العبارات السابقة، وموقف تحدده الوسائط الأساسية لموقف التخاطب**"([2]).

ويذهب أحمد المتوكل إلى أنه يمكن أن نفرّع عن هذا التعريف عددا من المسائل نوجز منها:

1. للعبارات اللغوية صنفان من الخصائص: خصائص مرتبطة بالاستعمال؛ وهي الخصائص الأغلب، وخصائص مستقلة عن الاستعمال غير مرتبطة بملابساته.

2. تعد العبارات اللغوية حسب هذا التعريف وسائل يستخدمها المتكلم لتبليغ أغراض معينة.

3. يشدد التعريف على أن رصد المرتبطة بالاستعمال يتم عبر استكشاف المبادئ التي تحكم التواصل اللغوي. من أهم هذه المبادئ: أن التواصل عن طريق اللغة لا يقتضي المعرفة للغوية الصرف فحسب بل يقتضي كذلك معارف أخرى عامة وآنية تخص الموقف المعين الذي تتم فيه عملية التواصل.

4 . مما يستخلص أيضا أن التواصل يتم في موقف معين، وفي إطار سياق تحدده العبارات اللغوية. ومفاد ذلك أن إنتاج العبارات اللغوية وتأويلها يتمان في إطار خطاب متكامل (حوار أو سرد أو غيرهما) وهو ما دعا النماذج الأخيرة من النحو الوظيفي إلى السعي إلى مجاوزة نحو الجملة إلى نحو الخطاب([3]).

([1]) – المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي؛ الأصول والامتداد، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص 67

([2]) – التركيبيات الوظيفية قضايا ومقاربات، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص 50

([3]) – المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي؛ الأصول والامتداد، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص 64

ج. **الكفاية النمطية** *typological adequacy*

يعرّف ديك هذه الكفاية بقوله: "يزعم المنظرون للسان الطبيعي أن بإمكانهم حصر الاهتمام في **لغة واحدة**، أو في **عدد من اللغات** فيما يقارب التنميطيون اللغة مقاربة محايدة نظريا تعتمد منهجا استقرائيا شبه تام.

إن الدراسة التنميطية لا تكون ذات نفع إلا إذا أطرتها **مجموعة** من **الفرضيات النظرية** ولا تكون النظرية اللسانية في المقابل ذات جدوى، إلا إذا كشفت عن **مبادئ وقواعد ذات انطباقية واسعة النطاق**"([1]).

يشير "سيمون ديك" في الشطر الأول من تعريفه إلى احد أهم تطورات الفكر اللساني الحديث الذي يمكن حصره في ثلاث مراحل؛ مرحلة الجمع والتصنيف، ومرحلة التنظير، ومرحلة التنميط.

ومن خلال التعريف يتضح أيضا أن ديك ينتقد التنميطيين السابقين في اتجاهيهما ويرى بأن تنميط اللغات يجب أن يندرج في إطار نظري ينطبق على أكبر قدر ممكن من اللغات المتواجدة والممكنة، ومن هنا فإن النحو الوظيفي لتحقيق هذه الكفاءة وضع ضابطين هما:

- ربط تنميط اللغات بالكليات اللغوية.
- السعي في إحراز أكبر قدر ممكن من التجريد في صوغ المبادئ والقواعد ([2]).

هذه الأنواع الثلاثة من الكفايات " **الكفاية النفسية، الكفاية التداولية، الكفاية التنميطية**" المترابطة والمتكاملة فيما بينها تشكل ما يسمى في نظرية النحو الوظيفي بـــ" **الكفاية التفسيرية**".

وقد توسع مصطلح الكفاية التفسيرية عند بعض الوظيفيين ليشمل مجموع من الكفايات لم تتحد في النماذج الأولى من النظرية، ومن ذلك([3]):

- الكفاية الدينامكية L'adéquation Dinmaique

([1]) - التركيبيات الوظيفية قضايا ومقاربات، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص 52

([2]) - المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي؛ الأصول والامتداد، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص 70

([3]) - نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، يحي بعيطيش ، مرجع سابق، ص 95

– الكفاية المراسية العامة L'adéquation Empirque Générale

– الكفاية التطورية L'adéquation Diachronique

– الكفاية التعليمية L'adéquation Didactique

– الكفاية الترجمية L'adéquation Traductive

– الكفاية السيميائية L'adéquation Sémiotique

– الكفاية الحاسوبية L'adéquation Computationnelle

وإلى جانب هذه المبادئ الأساسة في نظرية النحو الوظيفي؛ فهناك أسس منهجية تشكل النواة النظرية الصلبة للوظيفيين؛ من أهمها:

1. مفهوم اللغة ووظيفتها

تعد اللغة في التصور الوظيفي حسب (ديك) أداة للتفاعل الاجتماعي. وتتمثل وظيفتها الأولى في إقامة التواصل بين الكائنات البشرية، فهي " ظاهرة تداولية"، أو " أداة رمزية " تستعمل لغات تواصلية. ([1]).

ويذهب الباحث عز الدين البوشيخي إلى أنه بخلاف ما يعتقده تشومسكي من أن اللغة مجموعة من الجمل يتوسل بها للتعبير عن الفكر في استقلال عن رقابة المثيرات، أو تلبية الرغبات، أو تحيقي بعض الأهداف، برهن (ديك) على أن الوظيفة الأولى للغة هي التواصل؛ مستندا إلى تصور يقوم على اعتبار أن الإنتاجات الثقافية هي مجموعة من الحلول الممكنة التي تروم الإجابة عن إشكالات ثقافية عامة. وتخضع هذه الحلول لمتطلبات وظيفية أساسية، يمكن حصرها على الأقل في:

1 . الأهداف أو الغايات المراد إدراكها،

2 . الوسائل المستعملة لتحقيقها

3 . الظروف التي يتم فيها انجاز هذه الأهداف.

واللغة باعتبارها إنتاجا ثقافيا هي إجابة عن إشكال يتعلق بالطريقة التي تمكن الكائنات البشرية من التواصل فيما بينها. فعلى الرغم من وجود ما لا نهاية له من الوقائع، فإن لكل لغة إمكان التعبير عن هذه الوقائع لتحقيق

([1]) – التواصل اللغوي مقاربة لسانية وظيفية، عز الدين البوشيخي، مرجع سابق، ص 35

التواصل. فإقامة التواصل إذن هي الوظيفة المركزية لكل اللغات الطبيعية، ويعزز هذا الاعتقاد اشتراك كل العشائر الاجتماعية في استعمال نفس الأداة (اللغة) لتحقيق التواصل باعتباره نشاطا اجتماعيا يحدث الأفراد بمقتضاه تغييرات في معلوماتهم التداولية ([1]).

2 . مجال البحث اللساني ومنهج العمل

إذا كان الوظيفيون يجمعون على أن الوظيفة الأولى للغة هي التواصل؛ فإنه من الطبيعي أن يتجاوز البحث اللساني في إطاره الوظيفي القدرة النحوية للغة إلى القدرة التداولية. ففهم اللغة فهما عميقا لا يمكن أن يكون إلا عن طريق ربطها بمختلف الأهداف التداولية التي تستعمل من أجلها. وبناء عليه لا يخرج النسق اللغوي عن الاستعمال اللغوي- على الرغم من اختلاف النسق وتميزه عن الاستعمال - إذ لا يمكن تجريد اللغة عن أخص خصائصها. ([2]).

يجد هذا الموقف سنده لدى عدد من فلاسفة اللغة عرفوا بـــ"منظري التواصل" أمثال: سيرل، وغرايس...؛ وكلهم يجمعون على أن التواصل هو الوظيفة الأولى للغة، وعلى عدم ورود الفصل في دراستها بين البنية والوظيفة؛ فكما أن وظيفة القلب هي ضخ الدم فإن وظيفة اللغة هي التواصل؛ وفي كلتا الحالتين يرى سيرل بإمكان دراسة البنية في استقلال عن الوظيفة. ولكن فعل ذلك سيكون منحرفا وبلا أساس طالما أنه من البديهي وجود تفاعل البنية والوظيفة. وعلى هذه القاعدة تقوم كل الأنحاء الوظيفية وتعمل بمقتضى مبدأ عام يعتبر البنية اللغوية انعكاسا للكيفية التي يتم بها استعمال الكلام في التفاعل الاجتماعي، ويعتقد (ديك) إن موضوع النحو الوظيفي هو القدرة التواصلية؛ تلك القدرة التي تمكن المتكلم من التفاعل الاجتماعي بواسطة اللغة([3]).

3 . مهام اللساني

تكمن مهام اللساني في هذا التصور- حسب (ديك) - في بناء نسقين من القواعد كلاهما يكتسي طبيعة اجتماعية:

([1]) - ينظر: التواصل اللغوي مقاربة لسانية وظيفية، عز الدين البوشيخي، مرجع سابق، ص36

([2]) - ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، حافظ اسماعيلي علوي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط01، 2009، بيروت، لبنان، ص341

([3]) - ينظر: التواصل اللغوي مقاربة لسانية وظيفية، عز الدين البوشيخي، مرجع سابق، ص38

أ. نسق القواعد التداولية التي تحكم التفاعل الكلامي باعتباره نشاطا تعاونيا مُبنينا.

ب . نسق القواعد الدلالية والتركيبية والصوتية التي تحكم العبارات اللغوية المستعملة بصفتها أدوات لذلك النشاط.

وهو مطالب أيضا ألا يقف عند وضع القواعد فقط، بل عليه أن يفسرها من خلال وظيفتها، وذلك بالنظر إلى الطرق التي تستعمل بها العبارات اللغوية، وأهداف تلك الاستعمالات.

أما معطيات اللساني فهي الملفوظات الملاحظة في النصوص الشفوية أو المكتوبة، إذ تزوده بأفضل صورة للكيفية التي يستعمل بها الناس فعليا لغاتهم في ظروف الحياة اليومية. ([1]).

ولاستكمال البحث في القدرة التواصلية ينبغي على اللساني أن يكتشف نسق النحو الكلي الذي يتضمن نمطين من الكليات: كليات صورية (غير وظيفية) وكليات وظيفية. وعليه أن يربط بينهما مفسرا هذه الكليات من خلال:

أ – أهداف التواصل،

ب –التكوين النفسي والبيولوجي لمستعملي اللغات الطبيعية،

ت –المقامات التي يتم فيها استعمال اللغة.

ويشترط في إنحاء اللغات الخاصة أن توافق المبادئ والتعميمات الوظيفية التي يقرها النحو الكلي بصفته نظرية تستهدف تحديد مفهوم "النسق اللغوي التواصلي الممكن". كما أن اللساني – حسب (ديك) – مطالب بتفسير ظاهرة الاكتساب اللغوي لدى الطفل، إذ يفترض الوظيفيون أن الطفل – مدعما بدخل واسع ومُبنين من المعطيات اللغوية الموجودة في المقامات الطبيعية– يكتشف النسق التحتي للغة ولاستعمال اللغة. ([2]).

هذه بعض المبادئ العامة التي تنهض على أساسها نظرية النحو الوظيفي، ووصف لبعض الأسس المنهجية التي يرتكز عليها التحليل الوظيفي للغة.

([1]) – ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، حافظ اسماعيلي علوي، مرجع سابق، ص342

([2]) – ينظر: التواصل اللغوي مقاربة لسانية وظيفية، عز الدين البوشيخي، مرجع سابق، ص39

المحاضرة السابعة

البنية في النحو الوظيفي

(البنية الحملية، الوظيفية)

1 - البنية والبنيوية

2 – البنية في النحو الوظيفي

أ – البنية الحملية predicative structure

ب – البنية الدلالية Semantic structure

ج – البنية الوظيفية Functional structure

د – البنية المكونية Constituent structure

3 – مبادئ صياغة البنية النموذج في النحو الوظيفي

1 – البنية والبنيوية

وردت كلمة «بنية» في المعاجم العربية القديمة([1])، كما تعد أحد المفاهيم البارزة في الدرس اللساني المعاصر؛ فقد اكتسب لفظ «بنية» ([2])، وما اشتق منه «بنيوي»/«بنيوية» أبعادا معرفية جديدة اكتسبت بدورها رواجا منهجيا قل نظيره في الفكر الإنساني الحديث، مما تسبب في التباس المفهوم في الأذهان بعد أن اقتحم كل المجالات المعرفية الحديثة ، فبقدر ما يشيع استعمال مفهوم ما وينتشر بقدر ما يتسم هذا المفهوم بالغموض.

ويجسد مفهوم البنية في الثقافة العامة صعوبة واضحة تتجلى في كونه يرتبط بالإدراك الحسي المباشر للكلمة ما ينتج عنه خلط واضح في فهمه، ومرد هذا الخلط هو أن كل جسم أو شيء يمكنه أن يملك بنية خاصة أو يشكلها بحسب بنيانه وهيكله.([3])

من التحديدات الاصطلاحية لمفهوم ما جاء عند اللساني الانجليزي "جون لويتز J. Lyons" الذي عرف البنية بأنها: نظام من العلاقات أو مجموعة من الأنظمة يرتبط بعضها ببعض؛ وحيث إن العناصر أصوات وكلمات، ليس لها أي قيمة باستقلال عن علاقات التكافؤ والمقابلة التي تربطها. ([4])

ومن هذه التحديدات أيضا تعريف "بياجيه" الذي عرف البنية بقوله: إنها منظومة من التحولات. وتتكون المنظومة من قوانين باعتبارها منظومة مقابل خصائص الوحدات. وتحافظ المنظومة على نفسها وتغتني عن طريق تحويلاتها؛ دون أن تخرج عن حدودها، أو تستدعي عناصر خارجة عنها. وتتحدد خصائص البنية في الشمولية، والتحول، والضبط الذاتي. ([5]) وكان المبدأ الأساس الذي قام عليه التحليل البنيوي هو البحث عن القواعد الداخلية المتحكمة في ظهور المعنى. باختصار ليس المهم البحث عن معنى الشكل، ولكن المهم هو الوصول إلى

([1]) – ورد في لسان العرب: البُنية بضم الباء –بضم وكسر الباء– ما بنيته– الهيئة التي بني عليها الشيء مثل المِشية والرِكبة، وهو البنى والبنى؛ وأنشد الفارسي عن أبي الحسن: أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى، وبنية الشيء ما هو جوهري فيه، للتوسع ينظر: لسان العرب، مادة بنى .

([2]) – كلمة ((بنية)) في اللغات الأجنبية مأخوذة من اللغة اللاتينية structura المشتقة بدورها من الفعل struere (بنى) ومعناها في الأصل معنى معماري بحيث تشير الكلمة إلى الكيفية التي يشيد بها بناء معين. للتوسع ينظر: في اللسانيات العامة تاريخها طبيعتها موضوعاتها مفاهيمها، مصطفى غلفان، مرجع سابق، ص255

([3]) – ينظر: في اللسانيات العامة تاريخها طبيعتها موضوعاتها مفاهيمها، مصطفى غلفان، مرجع سابق، ص255

([4]) – ينظر: اللغة وعلم اللغة، جون لويتز، تر: مصطفى التوني، دار النهضة العربية، ط01، 1987، القاهرة، مصر، ص87

([5]) – ينظر: في اللسانيات العامة تاريخها طبيعتها موضوعاتها مفاهيمها، مصطفى غلفان، مرجع سابق، ص255

الكيفية التي تتم بها الدلالة. ليس المهم ما يقوله النص ولا من يقول هذا النص ولكن المهم كيف يقول النص ما يقوله. و لم يخرج التحليل اللساني البنيوي (*) عن إطار التحليل التقليدي للمقولات التقليدية؛ كالاسم والصفة والحرف ومنهجيتهم في التحليل بناء على مفهوم التوزيع وهي طريقة معروفة عند الأقدمين إلا ما كان من اعتماد المعايير الشكلية وأبعاد كل إحالة للمعايير الدلالية أو المفهومية في التحليل (1)، ويمكن أن نضيف لذلك اختصارا عدم تقديم أنموذج لتصور البنية اللغة في صورتها الشكلية الهيكيلية، وهو ما سعت إلى تحقيقه بعض الاتجاهات اللغوية المعاصرة مثل نظرية النحو الوظيفي.

2 – البنية في النحو الوظيفي

يقترح النحو الوظيفي صوغ بنية النحو (يخص هذا الاقتراح المرحلة الأولى: نموذج الجملة (نموذج النواة) المعروف بنموذج ما قبل المعيار) على الشكل الآتي؛ تشتق الجملة عن طريق بناء بنيات ثلاث (2):

– البنية الحملية predicative structure

– البنية الوظيفية Functional structure

– البنية المكونية Constituent structure

أ – البنية الحملية predicative structure

ينقسم الأساس حسب (ديك 1978) إلى عنصرين اثنين؛ «معجم» و « قواعد تكون المحمولات والحدود».

يحصل على بنية حملية تامة التحديد عن طريق تطبيق مجموعتين اثنتين من القواعد: قواعد تحديد مخصص المحمول، وقواعد تحديد مخصصات الحدود.

يقصد بمخصص المحمول المقولات التقليدية الثلاث: مقولة «الصيغة» ومقولتا «الجهة» و«الزمن».

(*) – يستخدم لفظ البنيوية والبنيوي؛ والصواب بنوي وبنوية؛ وهو خطأ صرفي في النسب، وقد جرت العادة على استعمال صفة بنيوي بنون ساكنة بعدها ياء مفتوحة فواو نسبة إلى بنية, وصاغوا منها المصدر الصناعي بنيوية على ذات المنوال وهو خطأ مشهور يقع فيه علماء اللغة أنفسهم. والصحيح بنيي وبنييية بنون ساكنة بعدها ثلاث ياءات أو بنوي وبنوية بنون مفتوحة فواو مكسورة بدون ياء, إن قلبت هذه الياء واوا كما في قرية فالنسب إليها قريين التي تنطق أيضا قرووي".

(1) – ينظر: في اللسانيات العامة تاريخها طبيعتها موضوعاتها مفاهيمها، مصطفى غلفان، مرجع سابق، ص277

(2) – ينظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص11

وتقوم البنية العامة للحمل على محمول وموضوعات ولواحق كما يتضح من التمثيل الآتي:

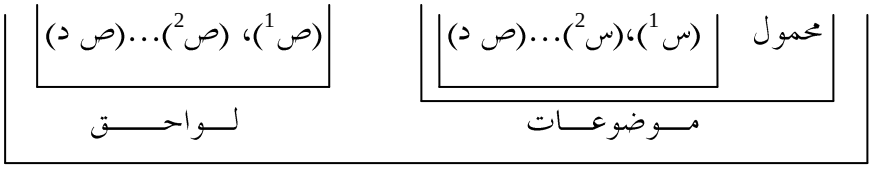

وفي إطار الاقتصاد في الأوليات الاشتقاقية اقترح (ديك 1989): أن تجمع المعلومات الممثل لها في البنية الوظيفية في بنية واحدة ((بنية تحتية))، وتشكل هذه البنية محل التمثيل لكل ما تستوجبه من قواعد التعبير لبناء البنية المكونية التامة التحديد(11/9) ([1]).

ب – البنية الدلالية Semantic structure

تقوم البنية الدلالية حسب النحو الوظيفي على محمول يدل على واقعة ((عمل)) أو ((حدث)) أو ((وضع)) أو ((حالة)) وعدد من الحدود تدل على الذوات المشاركة في الواقعة الدال عليها المحمول. هذه الحدود بالنظر إلى أهميتها بالنسبة للواقعة، صنفان: حدود تسهم في تعريف الواقعة ذاتهـــا (كالحد المنفذ والحد المتقبل والحد المستقبل) وحدود لا يتعدى دورها تخصيص الواقعة من حيث ((الزمان)) و ((المكان)) و((الحال))، وغير ذلك كما في الجملة:

(1) أعطى خالد زينب الكتاب البارحة أمام المكتبة

تدل الحدود ((خالد)) و ((زينب)) و ((الكتاب)) على ذوات تقوم بادوار مؤسسة للواقعة الدال عليها المحمول أعطى في حين أن الحدين ((البارحة)) و((أمام المكتبة)) يدلان على ذاتي تقومان بدوري التخصيص الزماني والمكاني فقط.

يصطلح في النحو الوظيفي على تسمية الحدود الأولى ((موضوعات)) وتسمية الحدود الثانية ((لواحق)). وتقوم البنية العامة للحمل على محمول وموضوعات ولواحق (132/7).

ج– البنية الوظيفية Functional structure

تنقل البنية الحملية التامة التحديد إلى بنية وظيفية بواسطة إجراء مجموعتين من القواعد (136/7):

([1]) – ينظر: اللسانيات والبيداغوجيا؛ نموذج النحو الوظيفي" الأسس المعرفية والديداكتية"، علي آيت أوشان، دار الثقافة، ط01، 1998، الدار البيضاء، المغرب، ص 143

أ – قواعد إسناد الوظائف.

ب – قواعد تحديد مخصص الحمل. وهو ما توضحه لنا خلال هذه الخطاطة:

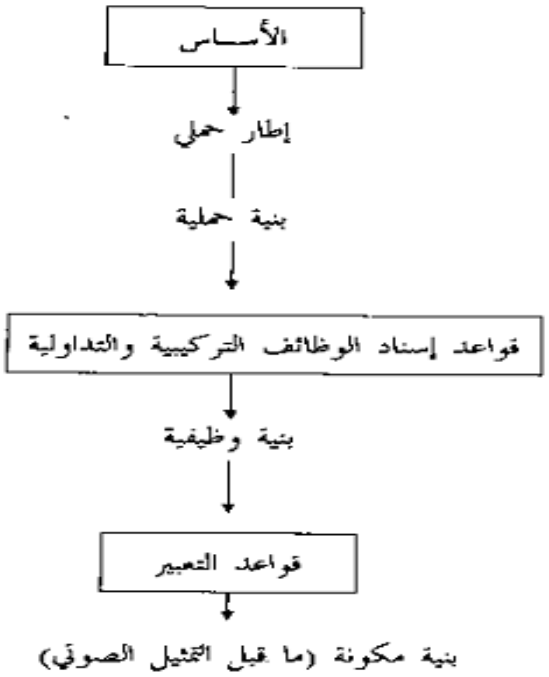

البنية الوظيفية هي محل التمثيل الخصائص الدلالية والخصائص التداولية، ولهذه البنية دخْلُ « قواعد التعبير » باعتبارها تجميعا للمعلومات المتعلقة بهاتين الفئتين من الخصائص، وما يهمنا من جوانب هذه البنية هو العلاقات القائمة بين ما يتوافر فيها من عناصر.

وأهم عناصر البنية الوظيفية محمول(فعلي أو اسمي أو وصفي أو ظرفي) دال على « واقعة » (« عمل » أو « حدث » أو « وضع » أو « حالة ») يواكبه عدد من «الحدود» التي هي حدود – موضوعات أو حدود – لواحق. بالإضافة إلى هذه العناصر المعجمية الصرف ثمة مؤشرات (مجردة) تقوم بدور تحديد السمات الجهية والزمنية بالنسبة إلى المحمول ذاته والسمات الوظيفية (الوظائف الدلالية والتركيبية والتداولية) التي تخص الحدود. مثال ذلك البنية (3) التي تعد بنية وظيفية للجملة (2):

(2) قابل خالد بكرا صباحاً

(3) [تا مض ق.ب.ل {فاعل} ف (ع 1 س^{1} : خالد) منف فا مح

(ع 1 س^{2} : بكر) متق مف (ن 1 ص^{1} : صباح) زم بؤ]

حيث : تا : تام، مض : ماض، منف : منفذ، فا : فاعل، مف : مفعول، متق: متقبل، مح: محور، بؤ: بؤرة، ع: معرفة ، ن : نكرة.

من تفحص التمثيل(3) يتبين أن من أهم خصائص البنية الوظيفية في النموذج الذي نحن بصدده كونها « مستوية »؛ تشتمل على مستوى واحد وهو الحمل. بعبارة أخرى تقتصر البنية الوظيفية على التمثيل للواقعة (وللمشاركين فيها) لا تتعداها. ([1]).

د – البنية المكونية Constituent structure

يقصد بالبنية المكونية البنية الصرفية– التركيبية، ويتم بناء هذه البنية عن طريق إجراء النسق الثالث من القواعد،((قواعد التعبير)) التي تطبق طبقا للمعلومات المتوفرة في البنية الوظيفية.

ويشمل نسق قواعد التعبير مجموعات القواعد الآتية(148/7).

1. قواعد ((صياغة الحدود)).

2. وقواعد ((صياغة المحمول)).

3. وقواعد إدماج مؤشر القوة الانجازية.

4. وقواعد الموقعة.

5. وقواعد إسناد النبر والتنغيم([2]).

ويتم بناء هذه البنيات عن طريق تطبيق ثلاث مجموعات من القواعد؛ «**الأساس**» (*Fund*) و« **قواعد إسناد الوظائف** Functions assignement rules» و« **قواعد التعبير** Expression rules»، وتقوم هذه الأنساق القاعدية بوظيفتها على النحو الأتي([*]): يمد الأساس (الذي هو عبارة عن خزينة للمفردات) باقي قواعد النحو بمصدر الاشتقاق؛ وهو مدخل معجمي (أصل ومشتق) ممثلا له في « إطار محمولي » يرصد الخصائص الدلالية

([1]) – ينظر: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص07

([2]) – ينظر: اللسانيات والبيداغوجيا؛ نموذج النحو الوظيفي" الأسس المعرفية والديداكتية"، علي آيت أوشان، دار الثقافة، ط01، 1998، الدار البيضاء، المغرب، ص 143

([*]) – أوجزت هنا صورة صوغ بنية النحو، وللتفصيل أكثر يمكن العودة إلى مضان المصادر الآتية: الوظائف التداولية في اللغة العربية، الوظيفة والبنية مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية من الخطاب إلى النص. وكلها من تأليف اللساني العربي أحمد المتوكل.

والتوزيعية للمفردة. وينقل هذا الإطار المحمولي إلى « بنية حملية» تامة التحديد بإجراء « توسيعه حملية» (أي إضافة الحدود اللواحق) وتخصيص السمات الجهية والزمنية للمحمول.

هذه البنية تتخذ دخلا لقواعد إسناد الوظائف، فتحدد «الوظائف التركيبية» (الفاعل والمفعول)؛ أولا ثم «الوظائف التداولية » (المحور، والبؤرة) فيحصل على بنية وظيفية. في هذه البنية تتوافر المعلومات الدلالية والتداولية التي تستلزمها قواعد النسق القاعدي الثالث، قواعد التعبير هذه القواعد فئتان اثنتان:

– قواعد تحدد الصورة التي تتحقق فيها عناصر البنية (قواعد صرفية، قواعد إسناد الحالات الإعرابية، قواعد إدماج المعلقات

– قواعد تحدد رتبة هذه العناصر « قواعد الموقعة » . البنية الناتجة عن تطبيق قواعد التعبير هذه تتخذ دلال للقواعد الصوتية التي يتم بواسطتها إسناد التأويل الصوتي.([1]).

3. مبادئ صياغة البنية النموذج

وإجمالا فقد اعتمدت صياغة البنية النموذج في النحو الوظيفي على المبادئ الآتية([2]).:

1. اللغة بنية (تركيبية– صرفية ودلالية) تخلفُها وظيفة؛ وظيفة التواصل.
2. الخصائص الوظيفية للغات الطبيعية تُحَدْد إلى حد بعيد خصائصها البنيوية.
3. البنية التركيبية الصرفية نتيجة لتفاعل أنواع ثلاثة من الخصائص: الخصائص الدلالية، والخصائص التداولية، والخصائص التركيبية.
4. العلاقات بين مكونات الجملة أنماط ثلاثة: علاقات دلالية (علاقات" المنفذ"، و"المتقبل"، و"المستقبل"، و"الأداة"، و"الزمان"، و"المكان"...)، وعلاقات تركيبية ("الفاعل"، و"المفعول")، وعلاقات تداولية ("المبتدأ"، و" المحور"، و"الذيل"، و" المنادى"، و" البؤرة"...).
5. العلاقات الدلالية، والعلاقات التداولية علاقات «كلية» يرد استخدامها في الوصف الكافي لبعض اللغات الطبيعية.
6. أنواع العلاقات الثلاثة علاقات «أولى» وليست علاقات «مشتقة» ناتجة عن تركيبات شجرية معينة.

([1]) – ينظر: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص06

([2]) – ينظر: اللسانيات الوظيفية .مدخل نظري، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص137

7. ليست ثمة علاقة مباشرة بين مستوى البنية الدلالية ومستوى البنية الصرفية – التركيبية بل إن الربط بين المستويين يتم عن طريق مستوى ثالث، مستوى البنية الوظيفية .

8. يتم اشتقاق الجملة عن طريق نقل البنية الدلالية إلى بنية صرفية- تركيبية (عبر بنية وظيفية) لا العكس.

9. استجابة لمبدأ «الكفاية النفسية» يتم اشتقاق الجملة بواسطة «بناء» البنيات الثلاث (الدلالية والوظيفية والتركيبية–الصرفية) عن طريق تطبيق قواعد غير تحويلية لا تغير البنية – الدّخْل حذفاً ولا تعويضا ولا نقلا.

10. استجابة للمبدأ نفسه لا يمثل للمحتوى الدلالي للمفردات عن طريق نسق عام من الوحدات الدلالية المجردة بل يمثل لها كما هي واردة في اللغة موضوع الوصف.

11. البنية مصدر اشتقاق الجملة بنية غير مرئية لا بالنظر للمكونات فيما بينها فحسب بل كذلك بالنظر إلى عناصر المكونات ذاتها. واعتماد هذا المبدأ ناتج عن المبدأ (6) أعلاه, مبدأ أولية الوظائف بأنماطها الثلاثة: الدلالية والتركيبية والتداولية. كما أنه ناتج عن إرادة تحقيق هدف أساسي: التمكن من التمثيل للبنية الأساس في اللغات الطبيعية جميعها سواء منها اللغات الشجرية واللغات غير الشجرية.

12. لا يمثل في البينة الأساس إلا للخصائص العامة الممكن ورودها في جميع اللغات الطبيعية أما الخصائص المرتبطة بلغة معينة أو بنمط معين من اللغات, فيمثل لها في مرحلة متأخرة من الاشتقاق على أساس أن البنيتين الدلالية والوظيفية بنيتان ذاتا طابع عام في حين أن البنية الصرفية – التركيبية تختلف طبيعة عناصرها (ويختلف تنظيم هذه العناصر) من لغة إلى أخرى أو من نمط من اللغات إلى نمط آخر.

13. يتم ترتيب عناصر المكونات وترتيب المكونات فيما بينها في مرحلة متأخرة، أي في مستوى البنية التركيبية– الصرفية عن طريق تطبيق نسق من القواعد تلحق المكونات بالمواقع التي تقتضيها وظائفها المؤشر لها في البنية الوظيفية ([1]).

وسنلاحظ من خلال الخطاطة اللاحقة (لاحظ: مخطط "البنية النموذج" في نظرية النحو الوظيفي) مجمل مكونات تصور بنية النحو في نظرية النحو الوظيفي([2])

([1]) – ينظر: اللسانيات الوظيفية .مدخل نظري، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص138

([2]) – ينظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص17

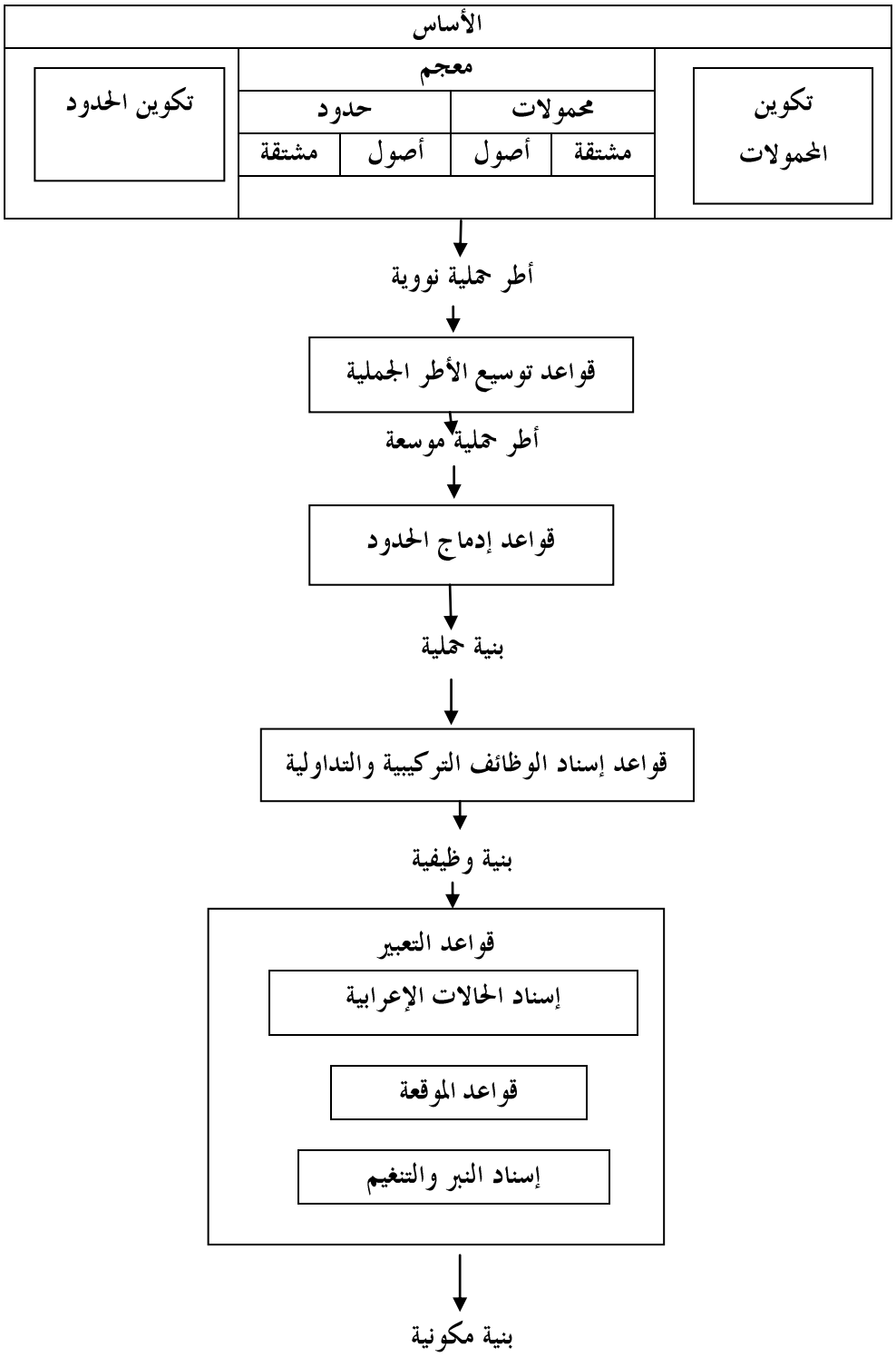

(ما قبل التمثيل الصوتي)

مخطط "البنية النموذج" في نظرية النحو الوظيفي

المحاضرة الثامنة

بنية الجمل

وأنماطها في النحو الوظيفي

1 . مفهوم الجملة

2 . بنية الجمل في النحو الوظيفي

3 . أنماط الجملة في النحو الوظيفي

أ - جملة بسيطة

ب - جملة مركبة

ت - جملة (متعددة الحمول)

ث - جملة الرابطية

1 . مفهوم الجملة

الجملة من المفاهيم البارزة في الدرس النحوي العربي القديم، وتشير في دلالتها اللغوية إلى الجمع وضم الكلم إلى بعضه بعض(*). ولعل أهم مسألة لغوية أثيرت حول الجملة في التراث النحوي العربي هي: هل الجملة تماثل الكلام من حيث التركيب الدلالة والاستعمال؟.

ذهب قسم من النحاة إلى أن الكلام والجملة هما مصطلحان لمعنى واحد, فالكلام هو الجملة, والجملة هي الكلام, هذا ما ذكره ابن جني في كتابه الخصائص. وتابعه عليه الزمخشري في المفصل, كما يقول الكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى وذلك لا يأتي إلا في اسمية نحو: زيد صاحبك, وبِشرٌ أخوك أو في فعل أو اسم نحو قولك: انطلق بكر, ومشى علي, وتسمى الجملة الكلام

أما ابن هشام فقد خالف الزمخشري حيث فرق بين الجملة وبين الكلام فقال:" الكلام هو القول المفيد بالقصد والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه والجملة عبارة عن الفعل وفاعله كـــ: قام زيد, والمبتدأ وخبره كزيد قام أو ما كان بمنزلة أحدهما, نحو: ضُرِبَ اللص وأقام الزيدان؟ أو: كان زيد قائم وظننته قائما وبهذا يظهر لك أنهما ليسا مترادفين, كما يتوهمه كثير من الناس", وكما جاء في اللسان: "الكلام هو ما كان مكتفيا بنفسه وهو الجملة". ويبدو من قول ابن منظور أنه ذهب مذهب الزمخشري فالذي عليه جمهور النحاة أن مفهوم الجملة والكلام مختلفان فإن شرط الكلام الإفادة ولا يشترط في الجملة الإفادة. ([1]).

وإنما يشترط فيها إسناد سواء أفاد أو لم يفد فهي أعم من الكلام, إذ كل كلام مفيد, وليس كل جملة مفيدة جاء في "مغني اللبيب" لابن هشام عن الكلام, إذ شرطه الإفادة بغلافها بهذا تسمعهم يقولون جملة شرط وجملة الجواب وجملة الصلة وكل ذاك ليس مفيدا فليس كلام".

وجاء في "التعريفات" للشريف الجرجاني " أنها عبارة عن مركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى أفاد أو لم يفد كقولك: إن يكرمني فإنه جملة لا تفيد إلا بعد مجيء جوابه فتكون أعم من الكلام مطلقا", وهناك تعريفات أخرى لا تختلف في فحواها عن ما مر وإن كانت ألفاظها مختلفة([2]).

(*) – جاء في تعريفها في المعاجم اللغوية العربية: الجُمَل : الجماعة من الناس ويقال جمل الشيء جمعه, وقيل لكل جماعة غير منفصلة جملة والجملة واحدة الجمل, وأجمل الشيء جمعه عن تفرقه, والجملة جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره يقال: أجُملت له الحساب والكمال. وقيل: أجُملت الشيء إجمالا: جمعته من غير تفصيل. وجاءت الجملة في القرآن الكريم بمعنى الجمع. قال الله تعالى" وقال الذين كفروا لو لا نزل عليهم القرآن جملة واحدة "الفرقان "32". للتوسع ينظر مادة (جمل) في: لسان العرب).

([1]) – ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، ط02، 2007، عمان، الأردن، ص11

([2]) – ينظر: المرجع نفسه، ص12

وقد اكتسبت الجملة في الدرس اللساني الحديث أهمية بالغة بوصفه الوحدة الأساسة في التحليل اللغوي؛ ففي حلقة براغ نجد اللساني الفرنسي" اندريه مارتيني" الذي اهتم بالجملة؛ وقد وضع ثلاثة مقاييس لتحديد العلاقات التركيبية داخل الجملة، والتعرف على وظيفتها في التبليغ، وتصنيفها في صنف تركيبي معين وهي:

* – مفهوم الاستقلال التركيبي،

* – الوحدات الوظيفية،

* – موقع الكلمة في التركيب.

وقد أعطى للتركيب الإسنادي مكانة متميزة في نظريته حيث جعله النواة الأساسية للجملة وأقل ما يمكن أن يكون عليه الكلام، وأقل ما يفيد؛ التركيب الإسنادي الذي يتكون من عنصرين مهمين هما المسند وهو نواة الخطاب (الحكم)، والمسند إليه الذي تكتمل به الجملة([1]).

أما اللساني الأمريكي نعوم تشومسكي وبدءا من أول كتابه "البنى التركيبية – صدر في 1957م–" فقد أعطى للجملة منزلة خاصة في تحليله اللغوي ضمن نظريته الشهيرة "النظرية التوليدية التحويلية"؛ فاللغة في رأيه مجموعة من الجمل المحدودة، أو غير المحدودة، ويمكن بناؤها من مجموعة محددة من العناصر.

هذه العناصر المحدودة، يذكر تشومسكي أنها تساعد على الإبداع غير المحدود بواسطتها، فإذا كانت الأنماط اللغوية يمكن حصرها مثل: (فعل + فاعل + مفعول به)؛ فالجمل التي يمكن أن توضع في هذه الأنماط لا يمكن حصرها، إنها لا محدودة. ([2]).

2 . بنية الجمل في النحو الوظيفي

تصاغ بنية النحو في نظرية النحو الوظيفي بأن تشتق **الجملة** عن طريق **بناء بنيات ثلاث:**

– البنية الحملية predicative structure الممثل فيها للخصائص الدلالية.

– البنية الوظيفية Functional structure الممثل فيها للخصائص الوظيفية.

– البنية المكونية Constituent structure محل التمثيل للخصائص التركيبية – الصرفية.

([1]) – ينظر: مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، مرجع سابق، ص101

([2]) – ينظر: تعليم اللغة اتصاليا بين المناهج والاستراتيجيات، رشدي أحمد طعيمة، محمود كامل الناقة، مرجع سابق، ص 23.

ويتم بناء البنيات الثلاث عن طريق تطبيق ثلاثة أنساق من القواعد: «قواعد الأساس»، و «قواعد إسناد الوظائف التركيبية والتداولية»، «قواعد التعيير». هذه القواعد يتم تطبيقها طبقا للمسطرة التالية:

يضطلع «الأساس» بإعطاء «إطار حملي» يشكل دخلا لقواعد بناء البنية الحملية التامة التحديد . ويتم نقل البنية الحملية إلى بنية وظيفية عن طريق إسناد الوظائف التركيبية ثم الوظائف التداولية. وتشكل البنية الوظيفية التامة التحديد دخلا لقواعد التعبير التي تضطلع ببناء بنية مكونية على أساس المعلومات المتوفرة في البنية الوظيفية. ([1]).

وقد سبقت الإشارة إلى أن هذا الاقتراح يخص المرحلة الأولى: نموذج الجملة (نموذج النواة) المعروف بنموذج ما قبل المعيار (في الفترة بين 1978 – 1989).

وقوام الجملة في هذا النموذج حملا بسيطا يتضمن محمولا (فعلا أو اسما أو صفة أو ظرفا) وعددا معينا من الموضوعات واللواحق كما تبين ذلك الترسيمة العامة التالية :

جملة = [محمول (س[1])... (س[ن]) (ص[1]) ... (ص[1])] ([2]).

حمل

3 . أنماط الجملة في النحو الوظيفي

وتقسم الجملة بحسب تركيبها والعناصر المكونة لها، فالجملة من حيث تركيبها أنماط ثلاثة ([3]) :

أ – **جملة بسيطة:** وهي الجملة التي تتضمن حملا واحدا غير مضاف إليه أي مكون آخر.

ونمثل لهذا النمط من الجمل (1):

(1) – سافرت هند إلى مراكش

ب – **جملة مركبة:** وهي كل جملة تتألف من حمل واحد مضاف إليه مكون خارجي (مكون « مبتدأ » أو « مكون ذيل »).

([1]) – ينظر: اللسانيات الوظيفية .مدخل نظري، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص139

([2]) – ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي؛ الأصول والامتداد، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص 101

([3]) – ينظر: الوظيفة والبنية مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص14

ونمثل لهذا النمط من الجمل (2):

(2) أ – كتاب « دلائل الإعجاز » ألفه عبد القاهر الجرجاني

ب – زفت إلى عمرو البارحة أخت خالد

ت – **جملة معقدة:** وهي كل جملة تتضمن أكثر من حمل واحد سواء أكان هذا الحمل حداً أم كان جزءاً من حد.

ونمثل لهذا النمط من الجمل (3):

(3) أ – بلغ هند أن خالد يعشق زينب

ب – سافر خالد إلى الخراج ليشارك في مؤتمر لغوي

جـــ – التي عشقها قيس ليلى

د – بعثت لي هند بالمقال الذي كتبته

يؤدي تصنيف الجمل بالنظر إلى معياري البساطة والتعقيد إلى التنميط الموضح في الرسم الآتي([1]):

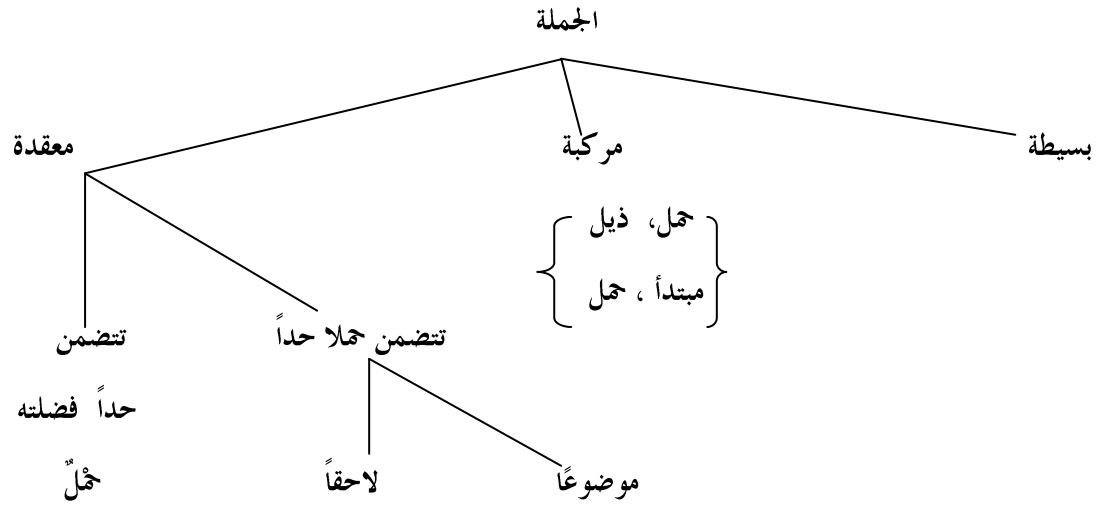

مخطط أنماط الجملة في النحو الوظيفي (أنموذج ما قبل المعيار)

([1]) – ينظر: الوظيفة والبنية مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص15

وقد وقع التركيز في مرحلة لاحقة على نمطي الجملة المركبة، ونوع آخر مشتق وهو؛ **الجملة الرابطية** فماذا يراد بمصطلح الجملة الرابطية؟

ث - جملة الرابطية

يقصد بالجملة الرابطية الجملة ذات المحمول غير الفعلي (صفة، اسم، ظرف) المتضمنة لفعل رابط (كالفعل "كان" مثلا) مثال ذلك الجمل التي من قبيل(4) :

(4) أ. **كان** خالدٌ نائماً

ب. **كان** بكرٌ أستاذاً

ج. **كان** السفرُ البارحةَ([1]).

إن الاهتمام بهذا النمط من الجمل للطروحات الآتية:

1. اعتيد في النحو التحويلي التوليدي على مقاربة الجمل كأصول للجمل التي لا تتضمن رابطا باعتبار جمل الصنف الثاني ناتجة عن تحويل حذف يجري على جمل الصنف الأول. حسب هذا المنظور تعد الجمل (5) محولة حذفا عن الجمل (5): (5) أ. خالدٌ نائم

ب. بكرٌ أستاذ

ج. السفرُ اليوم

وقد كانت بنية الجملة العربية وسيلة للدفاع عن أطروحة أقل كلفة وأقرب إلى الحدس والكفاية النمطية؛ الأطروحة المعتمدة في نظرية النحو الوظيفي القائلة بأن الفعل الرابط لا يظهر في البنية التحتية؛ وإنما يدمج بواسطة إحدى قواعد التعبير حين تتوافر السمات الزمنية والجهية التي تقتضي هذا الإدماج([2]).

2. لا ينحصر الفعل الرابط في الفعل" كان" الذي يدمج في بنية مخصصها الزمني" المضي" أو" الاستقبال" أو "اللازمن"؛ كما هو الشأن في الجمل(6 ب- د) مثلا:

(6) أ. الجو حار اليوم

([1]) - المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي؛ الأصول والامتداد، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص 101

([1]) - المرجع نفسه، ص102

ب. **كان** الجو حارا أمس

ج. سيكون الجو حارا غدا

د. يكون الجو حارا في موسم الصيف

ثمة أفعال رابطة أخرى يحدد إدماجها المخصص الجهي إضافة إلى المخصص الزمني . من هذه الأفعال الدالة على الصيرورة.

(7) **أصبح / أمسى / أضحى** الجو حارا

والأفعال الدالة على الاستمرار:

(8) ما زال / **لا يزال** الجو حارا ([1]).

هذه بعض الجوانب البسيطة المقترحة في دراسة الجملة وتحليلها في نظرية النحو الوظيفي بحسب النموذج الأول الذي يسمى نموذج النواة (أو ما قبل المعيار) .

([1]) – المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي؛ الأصول والامتداد، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص 101

المحاضرة التاسعة

الوظائف

في نظرية النحو الوظيفي

1 - مفهوم الوظيفة

2 - مشروعية الوظيفة

3 - الوظيفة في الفكر اللغوي العربي

3 - الوظيفة في الفكر اللغوي الغربي

4 - الوظيفة في نظرية النحو الوظيفي

5 - الوظائف التداولية في نظرية النحو الوظيفي

1 - مفهوم الوظيفة

لا يمدنا المعنى اللغوي لكلمة الوظيفة في المعاجم اللغوية العربية (*) الشيء الكثير من الدلالات. ولكن بالنظر إلى التحديدات الاصطلاحية مع ما ارتقت له المعارف في العصر الحديث؛ فإن هذه الكلمة قد نالت حيزا واسعا من الاستعمال والشيوع، واكتسبت دلالات متعددة؛ مما أعطاها أبعادا معرفية متنوعة في مختلف العلوم والمعارف الإنسانية. ففي الدرس اللغوي ارتبط الحديث كثيرا عن اللغة بوظائفها؛ وطرح في هذا السياق عدد من التساؤلات المهمة ومن ذلك: هل للغة وظيفة أم لا؟، وهل هي وظيفة واحدة أم وظائف متعددة ؟، وهل هناك وظائف أساسية ووظائف ثانوية للغة؟، وما مدى مشروعية الوظيفة في دراسة اللغة وتحليلها؟.

يذهب بعض الدارسين إلى أنه (تسند إلى اللغة عادة مجموعة من الوظائف، فالدراسات الفلسفية والفكرية العامة جعلت وظيفة اللغة نقل الوقائع faits، واعتبرها أرسطو مرآة للفكر... ويميز الدرس اللساني بين وظيفة أساسية ووظائف ثانوية للغة تتمثل الوظيفة الأولى في كون اللغة وسيلة للتواصل وهو ما يهم اللساني في الدرجة الأولى. أما الوظائف الثانوية فهي مجمل ما يسنده الدارسون في مجالات معرفية أخرى من وظائف إلى اللغة كالقول بأنها وسيلة للإبداع أو لنقل الأفكار) ([1]).

والواقع إن هناك اختلافات نظرية كثيرة لا مجال لحصرها حول وظيفة اللغة؛ وهي اختلافات ناتجة عن اختلاف البعد النظري والفكري الذي يُنظر من خلاله إلى قضايا اللغة بصفة عامة وللتعريف الذي يُعطى للغة بصفة خاصة. وأصبحت إشكالية الوظائف في العصر الحديث من أبرز القضايا التي تناولها المفكرون على اختلاف مشاربهم. لكن السلوكيين يرفضون إعطاء أي دور أو وظيفة للغة باعتبارها سلوكا مثل باقي السلوكات البشرية الأخرى([2]).

2 - مشروعية الوظيفة

ترمي كل النظريات اللغوية على اختلاف مشاربها وتوجهاتها، حديثة كانت أم قديمة، إلى دراسة بنية اللغة؛ مستويات، ومكونات، وعلائق.

(*) – من هذه المعاني: الوظيفة من كل شيء؛ ما يقدر له في كل يوم من رزق أو طعام أو علف أو شراب وجمعها الوظائف والوُظُف. ووظف الشيء على نفسه، ووظفه توظيفا: ألزمها إياه، وقد وظفت له توظيفا على الصبي كل يوم حفظ آيات الله من كتاب الله عز وجل...وجاء يَظِفُهُ أي يتبعه؛ عن الأعرابي. ويقال: وظَف فلان فلانا يَظِفَهُ وظْفا إذا تبعه، مأخوذ من الوظيف. للتوسع ينظر: **لسان العرب، لابن منظور، مادة (وظف)**.

([1]) – في اللسانيات العامة تاريخها. طبيعتها. موضوعها. مفاهيمها. مصطفى غلفان، مرجع سابق، ص81

([2]) – ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها

إذا كان هذا هو المرمى الأساسي فلا مشروعية للحديث عن الوظيفة إلا إذا كانت تؤثر تأثيراً دالاً في البنية. حول مشروعية الأخذ بالوظيفة في الدرس اللغوي، انقسمت الآراء بين من ينكرها ومن يقول بها ويدافع عنها:

(أ) أهم ما يدفع به من ينكر مشروعية الأخذ بالوظيفة في الدرس اللغوي أن بنية اللغة نسق مجرّد كما سبق أن أشرنا إلى ذلك تحكمه مبادئه وقواعده الخاصة ويتسنى بالتالي لدراسة اللغة أن يصفه في معزل تام عن أي شيء آخر كما يتسنى لعالم الإحياء أن يصف مكونات القلب وبنيته في استقلال عن وظيفة ضح الدم.

(ب) أما أهم ما يحتدّ به القائلون بمشروعية الأخذ بالوظيفة فهو أن بنية اللغة تأخذ الخصائص التي تخدم إنجاح التواصل وأهدافه ومختلف أنماطه([1]) .

3 - الوظيفة في الفكر اللغوي العربي

معلوم أن الكلام في العربية يتألف من ثلاثة أقسام: اسم، وفعل، وحرف ومن تعالق هذه الأقسام تنشأ المعاني النحوية للجمل وللكلمات؛ هذه المعاني التي يرتبط بها مفهوم الوظيفة في استعمالاته اللغوية؛ يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني (471هـ) (ومعلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعضٍ؛ والكلم ثلاث،اسم وفعل وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما... فهذه هي الطرق والوجوه في تعلق الكلم بعضها ببعض، وهي كما تراها معاني النحو وأحكامه...) ([2]).

ولعل ما يقصده الجرجاني بالتعليق والنضد تلك العلاقات التركيبية الناشئة بين عناصر التركيب اللغوي التي تشير بشكل صريح إلى معنى الوظيفة النحوية؛ وهو ما أوضحه في موضع آخر بقوله: (وإذا نظرنا في ذلك علمنا أن لا محصول لها غير أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا، أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر، أو تتبع الاسم اسماً على أن يكون الثاني صفة للأول أو تأكيداً له أو بدلا منه، أو تجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون الثاني صفة أو حالا أو تمييزا أن تتوخى في كلام هو لإثبات معنى أن يصير نفيا أو استفهاما أو تمنيا فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك. وعلى هذا القياس)([3]).

([1]) – ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، احمد المتوكل، مرجع سابق، ص27

([2]) – دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، مرجع سابق ص08

([3]) – المصدر نفسه، ص70

فالمقصود إذاً بالوظائف النحوية للكلمات هنا هو المعاني النحوية التي تحددها الكلمات في الجملة؛ تلك المعاني التي تدور على ما إذا كانت الجملة تقريرا أو استفهاما أو رجاء ... الخ، أو ما يتعلق بالأدوار التي تؤديها العناصر المختلفة والتي تتغير بها المورفيمات في التركيبات النحوية المختلفة([1]).

انطلاقا من هذا الفهم يتحدد تصور الوظيفة النحوية بكونه (المعنى المحصل من استخدام الألفاظ أو الصورة الكلامية في الجملة المكتوبة أو المنطوقة على المستوى التحليلي أو التركيبي([2]).

وتقسم الوظائف النحوية في اللغة العربية إلى قسمين:

أ – الوظائف النحوية العامة

وهي المعاني العامة المستفادة من الجمل والأساليب بشكل عام؛ وتتمثل هذه الوظائف في دلالة الجمل أو الأساليب على الخبر والإنشاء، والإثبات والنفي، والتأكيد، وفي دلالتها على الطلب بأنواعه كالاستفهام، والأمر والنهي، والعرض، والتحضيض، والتمني، والترجي،،،. كما تتمثل هذه الوظائف في قدرة الجملة على الإفصاح باستخدام الإخالة والصوت والمدح والذم؛ وهنا تبرز تكمن أهمية الملامح التطريزية في بيان دلالة التركيب اللغوي.

ب – الوظائف النحوية الخاصة

وهي معاني الأبواب النحوية وتتضح الصلة بين الوظيفة النحوية الخاصة وبين الباب النحوي إذا عرفنا أن الكلمة التي تقع في باب من أبواب النحو تقوم بوظيفة ذلك الباب ، ويتمثل هذا في وظيفة الفاعلية التي يؤديها الفاعل، والمفعولية التي يؤديها المفعول، والحالية التي يؤديها الحال، ووظيفة التفسير التي يؤديها التمييز وهلم جرا،،،([3]).

3 - الوظيفة في الفكر اللغوي الغربي

استأثر موضوع اللغة ووظائفها اهتمام الفكر اللغوي الغربي الحديث؛ فاللغة أداة للتواصل والتفاعل الاجتماعي، ووسيلة للتعبير عن الأفكار والرغبات والمشاعر، ووسيلة للإبداع...هذه الوظائف المهمة وسواها جعلت من الدارسين الغربيين يتبصرون في تفكيرهم بما تضطلع به اللغة من وظائف في حياة الفرد والمجتمع،

([1]) – الكلمة دراسة لغوية معجمية، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، د. ط، 1998، الإسكندرية، مصر، ص62

([2]) – أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى الساقي، مكتبة الخانجي، د. ط، 1977، القاهرة، مصر، ص203

([3])– الكلمة دراسة لغوية معجمية، حلمي خليل، مرجع سابق، ص62

وهو ما دعاهم إلى محاولة فهمها وإدراك حقيقتها، ومن ثمة تقديم تحديدات اصطلاحية كثيرة لمفهوم وظيفة اللغة، وبيان طبيعة وظائف اللغة وأنواعها. ومن هؤلاء اللسانين يمكن أن نشير إلى كل من؛ " **اندريه مارتيني**"،"**رومان ياكبسون**"،" م. **هاليداي** ":

* – اللساني "اندريه مارتيني" الذي يرى (إن وظيفة اللغة تتمثل في تحقيق التواصل) ([1]).

* – وأما اللساني "رومان ياكبسون " فقد جعل للغة ستة وظائف تتساوق مع عناصر العملية التخاطبية وهذه العناصر هي:

– الوظيفة المرجعية (السياق)،

– الوظيفة التأثيرية (المرسل إليه)،

– الوظيفة التعبيرية (المرسل)،

– الوظيفة الشعرية (القناة)،

– الوظيفة الميتالغوية (الرمز أو الشفرة)،

– الوظيفة الإيصالية (الرسالة) ([2])

* – وأما " م. هاليداي M. Halliday " فيجعلها تسع وظائف أساسة هي على التوالي:

1. الوظيفة النفعية : Instrumental function

2. الوظيفة التنظيمية : Regulatory function

3. الوظيفة التفاعلية : Interactional function

4. الوظيفة الشخصية : Personal function

5. الوظيفة الاستكشافية : Heuristic function

6. الوظيفة التخيلية : Imaginative function

([1]) – مبادئ في اللسانيات العامة، اندريه مارتيني، تر: سعدي الزبير، دار أفاق، د.ط، 1990، الجزائر، ص14

([2]) – مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، مرجع سابق، ص28

7. الوظيفة البيانية : Representational function

8. وظيفة التلاعب باللغة : Play function

9. الوظيفة الشعائرية : Ritual function ([1]).

4 - الوظيفة في نظرية النحو الوظيفي

نلحظ في الدرس اللساني المعاصر تطور مفهوم الوظيفة مع الحلقات اللغوية المعاصرة؛ لنصل إلى أشدها تميزا؛ وهي" نظرية النحو الوظيفي Functional grammar" التي أرسى مفاهيمها الهولندي" سيمون ديك Simon dik"، وفي العالم العربي نجد" أحمد المتوكل" الذي ذهب؛ إلى أنه يمكن إرجاع مصطلح الوظيفة إلى مفهومين اثنين أساسيين: الوظيفة كعلاقة، والوظيفة كدور؛ وهو ما سيتضح فيما يأتي([2]):

أ – الوظيفة العلاقة

حين يرد مصطلح الوظيفة دالا على علاقة؛ فالمقصود العلاقة القائمة بين: مكونين أو مكونات في المركب الاسمي أو الجملة، والمصطلح بهذا المعنى؛ متداول في جل الأنحاء (بما فيها التقليدية) مع اختلاف من نحو إلى نحو، ومن نمط إلى نمط مرده نوع العلاقة التي يرد رامزا؛ ففي الأنحاء الصورية يستعمل هذا المصطلح للدلالة على العلاقات التركيبية كعلاقات الفاعل والمفعول المباشر والمفعول غير المباشر، وفي الأنحاء ذات المنحى الوظيفي يستخدم للدلالة على كل العلاقات التي يمكن أن تقوم داخل الجملة أو داخل المركب. وفي النحو الوظيفي نميز بين ثلاث **مستويات للوظائف**:

1/ **مستوى الوظائف التركيبية**: (فاعل, مفعول)

2/ **مستوى الوظائف الدلالية**: (متقبل, منفذ، مستقبل، زمان، أداة...)

3/ **مستوى الوظائف التداولية (المقامية)**: (المحور, البؤرة, المنادى, الذيل, المبتدأ)

يمكن التمثل لهذه المستويات الوظيفية بهذا المثال(1):

(1) أ – ماذا شرب خالد؟.

([1]) – ينظر: تعليم اللغة اتصاليا بين المناهج والاستراتيجيات، رشدي أحمد طعيمة، محمود كامل الناقة، مرجع سابق، ص 26

([2]) – ينظر: التركيبيات الوظيفية قضايا ومقاربات، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص21

ب - شرب خالد شايا

خالد: منفذ (وظيفة دلالية)، فاعل(وظيفة تركيبية)، محور(وظيفة تداولية)

شايا: متقبل(وظيفة دلالية)، مفعول(وظيفة تركيبية)، بؤرة(وظيفة تداولية).

وتختلف الأنحاء كذلك في النظر إلى الوظيفة كعلاقة بالنظر إلى الوضع الذي تتخذه الوظائف داخل النموذج؛ فهي إما وظائف مشتقة أو وظائف أولى([1]).

وقد نظر النحاة العرب المعاصرين إلى مستويات هذه الوظائف وتتبعوها في سياق وصف التراكيب في العربية بإفراد باب لكل وظيفة؛ منها ما يبرز فيها الجانب الوظيفي أو التركيبي، وأخرى يبرز فيها الجانب الدلالي، وثالثة يبرز فيها البعد التداولي، بالاعتماد على ما وضع من حدود نحوية تكاد تلتقي عليه مصنفات القدامى والمحدثين؛ وهو ما يتضح فيما يأتي:

1 - مستوى الوظائف التركيبية: المبتدأ(يبنى عليه الكلام)، والخبر(هو المبني على المبتدأ)، والفاعل (يبنى عليه الفعل المقدم عليه)، ويشاركه نائب الفاعل(جزء أساسي بعد حذف الفاعل)، المفعول به (يحتاج إليه إذا كان الفعل متعديا).

2 - مستوى الوظائف الدلالية: الخبر(يصير به المبتدأ كلاما)، والفاعل (من قام بالفعل)، والمفعول به (يقع عليه فعل الفاعل)، والمفعول المطلق (يؤكد الفعل أو يبين نوعه أو عدده)، والمفعول لأجله (علة الفعل)، والمفعول فيه (زمان أو مكان الفعل)، والمفعول معه (بعد واو للتنصيص على المعية)، والحال (يبين هيئة صاحبه)، والتمييز (رفع الإبهام في جملة أو مفرد)، والمستثنى (إخراج بعض من كل)،...

3 - مستوى الوظائف التداولية: المبتدأ (معرفة المخاطب)، والخبر(محط فائدة السامع)، التمييز(تنبيه المخاطب على المراد بالنص على احد محتملاته)، والمنادى(طلب إقبال المخاطب بحرف ناب مناب الفعل)، والتوكيد (تمكين المعنى في نفس المخاطب، وإزالة الاحتمال في التأويل) ([2]).

ب - **الوظيفة الدور**

ويقصد به الغرض الذي تسخر الكائنات البشرية اللغات الطبيعية من أجل تحقيقه، بهذا الصدد اختلف منظروا

([1]) - ينظر: التركيبيات الوظيفية قضايا ومقاربات، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص22

([2]) - دراسات في اللسانيات العربية، عبد الحميد السيد، دار الحامد، ط01، 2004، عمان، الأردن، ص120

الدرس اللساني المعاصر لتطرح وظيفة التواصل بدرجة أولى، مع التسليم بالوظائف الأخرى التي تؤديها اللغات الطبيعية، وتبدو الفكرة الأساسة في الوظيفة الدور هي الاستعمال والتواصل وارتباط البنية بالسياق([1]).

والوظيفة كعلاقة والوظيفة كدور مفهومان متباينان؛ حيث أن العلاقة رابط بنوي قائم بين مكونات الجملة أو مكونات المركب، في حين أن الدور يخص اللغة بوصفها نسقا كاملا إلا أن التباين الواضح لا يلغي ترابطهما ولهذا الترابط وجهان اثنان هما التاليان:

(أ) في الأنحاء التي تعتمد مبدأ وظيفة اللغة؛ مبدأ أن للغة دوراً معينا تسخر لأجله كدور تحقيق التواصل بين مستعمليها، تضاف إلى الوظائف التركيبية والدلالية وظائف أخرى يمكن تسميتها وظائف تداولية كوظيفتي المحور والبؤرة، هذه الفئة من الوظائف غالبا ما تنعدم أو تتقلص كما أو وضعا في الأنحاء التي لا تولي اهتماما كبيرا للجانب الوظيفي للغة.

(ب) يغلب أن تتخذ الوظائف وضع وظائف أولى (غير مشتقة) في أنحاء تسند اللغة دورا معينا (دور تحقيق التواصل خاصة) أكثر مما تتخذ هذا الوضع في أنحاء أخرى ليست لها هذه السمة([2]).

5 - الوظائف التداولية في نظرية النحو الوظيفي

الوظائف التداولية في اللغة العربية وظائف خمس تنقسم إلى ثلاث وظائف"خارجية" (بالنظر إلى الحمل) ووظيفتين"داخليتين". الوظائف التداولية الخارجية هي "المبتدأ" و "الذيل" و "المنادى". أما الوظيفتان الداخليتان فهما "المحور" و "البؤرة".

1. الوظائـــف الخارجية

1.1. المبتدأ

يعرف المكون المبتدأ بأنه "المكون الدال على مجال الخطاب الذي يعد بالنسبة إليه الحمل الذي يليه واردا".

أمثلة الوظيفة(2):

- **زيدْ**، أبوه مريض

- **زيدْ**، قام أبوه

([1]) - ينظر: التركيبيات الوظيفية قضايا ومقاربات، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص23

([2]) - ينظر: المرجع نفسه، ص24

الجملة تتكون من ركنين؛ حمل: (أبوه مريض)، ومبتدأ: (زيد)، وهو الذي يحدد المجال الذي يعتبر إسناد مجموع الحمل إليه واردا؛ بمعنى أن يكون المبتدأ صالحا للإحالة على ما بعده، ويكون المخاطب قادرا على التعرف على ما يحيل إليه المبتدأ، فالإحالة على المجهول لا يفيد؛ فهو لحن تداولي([1])، من الخصائص الأساسية للتراكيب المبتدئية (التراكيب المصدرة بمبتدأ) ما يلي:

1 - يشكل المبتدأ مكونا خارجيا بالنظر إلى الحمل. وتتجلى خارجيته في أنه لا يدخل في مجال "عمل" محمول الحمل.

2 - خارجية المكون المبتدأ بالنسبة للحمل المواليه لا تعني أنه مستقل عنه الاستقلال تامه. فهو مرتبط به بواسطة رابطين: رابط تداولي، ورابط بنيوي.

3 - يشترط في المكون المبتدأ أن يكون "عبارة محلية" (أي عبارة تحمل من المعلومات ما يجعل المخاطب قادرا على التعرف على ما تحيل عليه). خرق هذا الشرط تنتج عنه تراكيب مبتدئية لاحنة .

4 - يأخذ المكون المبتدأ، بحكم كونه خارج الحمل، حالته الإعرابية بمقتضى وظيفته التداولية ذاتها، الحالة الإعرابية التي تسند إلى المكون المبتدأ، بوجه عام([2]).

2.1. **الذيـــل**

يأخذ الوظيفة التداولية الذيل المكون الذي يقوم بدور توضيح معلومة واردة في الحمل المتقدم عليه أو تعديلها أو تصحيحها. من أمثلة ذلك المكون اللاحق بالحمل في الجمل (3 أ- ج):

(3) أ . قابله عمرو, **خالد**

ب . أعجبني خالد, **تأدبه**

ج . سلمت على بكر, **بل خالد**

ويتسم المكون الذيل بالخصائص الأساسية التالية:

1 - يلي المكون الذيل في عملية التخاطب، الخطاب ذاته إذ إن الغرض منه التعليق على معلومة واردة في الخطاب السابق لتوضيحها أو تعديلها أو تصحيحها.

([1]) – ينظر: الوظائف التداولية، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص113

([2]) – ينظر: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص245

2 - انعكاسا لدور المكون الذيل في عملية التخاطب، يحتل هذا المكون الموقع الموالي للحمل، الموقع **م**[3]، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك. ويعكس ترتيب المكون الذيل في الجملة ما يميزه عن المكون المبتدأ الذي يحتل الموقع المتقدم على الحمل نظرا لدوره في عملية التخاطب، المغاير لدور الذيل. ويحتم هذا التمييز رفض أي مسوغ لاعتبار المبتدأ والذيل مكونا واحدا حاملا لوظيفة واحدة متموقعا في موقعين مختلفين.

3 - الذيل شأنه في ذلك شأن المبتدأ والمنادى، مكون خارجي بالنظر إلى الحمل إلا أنه لا يستقل عنه. ويتجلى ارتباطه به في خاصتين: خاصية الربط الإحالي وخاصية الإعراب([1]).

3.1. المنادى

نعد "النداء" فعلا لغويا شأنه في ذلك شأن الأفعال اللغوية الأخرى كالإخبار والسؤال والالتماس. ونميز بين النداء باعتباره فعلا لغويا و"المنادى" باعتباره مكونا من مكونات الجملة يدل على الذات محط النداء. فالنداء, إذن, فعل لغوي في حين أن المنادى وظيفة, أي علاقة تقوم بين مكون من مكونات الجملة وباقي المكونات التي توارده. وتمثيلا لذلك؛ فالمنادى وظيفة مسندة إلى المكون **زيد** (4) : يا **زيد** أخوك مقبل([2]).

ويمكن إجمال خصائص المكون المنادى, في اللغة العربية في ما يلي:

1 - يشكل المنادى, كالمبتدأ والذيل, مكونا خارجيا بالنسبة للحمل. فهو يحمل, دوما, قوة انجازيه (النداء) تختلف في جميع الأحوال عن القوة الانجازية المواكبة للحمل كما يتبين من الجمل التالية(5):

(5) أ . يا عمرو, لقد قدمت هند

ب . يا هند, لا تتركي خالدا وحيدا

ج . يا ليل, الصب متى غده؟

2 - من القيود الموضوعة على المنادى أن يكون عبارة دالة على ذات عاقلة أو على الأقل على ذات حية. فلا يسوغ أن ينادى الكائن غير الحيي إلا مجازا كما في الجملة (5 ج) أو الجملتين (6 أ ب) ([3]):

(6) أ . أيا شجر الخابور, ما لك مورقا؟

([1]) – ينظر: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص248

([2]) – ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص96

([3]) – ينظر: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص250

ب . ألا عم صباحا أيها الطلل البالي

3 - تصاحب المكون المنادى أداة من الأدوات المدروج على تسميتها "أدوات النداء". وتدمج هذه الأدوات حسب وسائط معينة منها ثنائية "البعد/ القرب" ونوع إحالة المكون المنادى وطبيعته التركيبية. وقد اقترحنا صوغ قواعد إدماج أدوات النداء بطريقة صورية.

4 - الحالة الإعرابية التي يأخذها المنادى هي الحالة الإعرابية "النصب". وقد اقترح تعليل إعراب المنادى بتقدير فعل انجازي واجب الاستتار دال على الدعاء. حسب هذا الاقتراح, تكون البنية المخلفة للتراكيب (5 أ), مثلا, هي البنية (7): (7) أدعو عمرا

5 - فيما يتعلق بموقع المنادى في الجملة, يلاحظ أن هذا المكون يمكن أن يرد متقدما على الحمل كما في الجمل (5 أ- ج) أو متأخرا عنه كما في الجملة (6 ب). ويمكن, أيضا, أن يحتل أي موقع داخل الحمل ذاته كما هو الشأن في الجملة (8) مثلا: (8) حضر, يا هند, الضيوف فاستقبليهم! ([1]).

2. الوظائـــف الداخلية

1.2. المحور

الوظيفة المحور هي الوظيفة التي تسند, حسب مقتضيات المقام, إلى الحد الدال على الذات التي تشكل "محط الحديث" داخل الحمل. يمكن التمثيل لهذه الوظيفة بالحروف البارزة في هذه الأمثلة (9):

(9) أ – متى رجع **زيد** ؟

ب – رجع **زيد** البارحة

ج – من أعطى **زيد الكتاب** ؟

د – أعطى **زيد الكتاب** عمرا ([2])

ومجمل خصائص المكون المحور في اللغة العربية هي: 1 - يسند المحور, في الحمل ذي المحمول الأحادي (المحمول ذي الموضوع الواحد), إلى الموضوع الوحيد بطريقة آلية كما في الجملتين (9 أ- ب):

([1]) – ينظر: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص252

([2]) – ينظر: الوظائف التداولية، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص67

(9) أ . عاد الجنود

ب . طربت هند

2 - يمتاز المكون المحور في مستوى البنية الإخبارية, بأنه يحمل معلومة "معطاة" يتقاسم معرفتها كل من المتكلم والمخاطب. لهذا السبب, يلاحظ أن هذا المكون يترع إلى احتلال أحد المواقع الأولى في الحمل طبقا للمبدأ العام بأن تتقدم المكونات الحاملة للمعلومات "المعطاة" على المكونات الحاملة للمعلومات "الجديدة".

3 - ثمة نظريات لغوية قديمة وحديثة لا يتم فيها التمييز بين الوظيفتين التداوليتين المبتدأ والمحور مع أن لهاتين الوظيفتين, على ما يؤالف بينهما, سمات متمايزة([1]).

2.2. البؤرة

سبقت الإشارة إلى أن اللساني أحمد المتوكل اقترح التمييز بين بؤرتين اثنين: "بؤرة الجديد" و"بؤرة المقابلة" معرفين بؤرة الجديد بأنها الوظيفة التداولية التي تسند إلى المكون الحامل للمعلومة "الجديدة" بالنسبة للمتكلم (في حالة الاستفهام) أو للمخاطب (في حالة الإخبار) وبؤرة المقابلة بأنها الوظيفة التداولية التي تسند إلى المكون الحامل للمعلومة المتردد في ورودها أو المنكر ورودها. كما سبقت الإشارة كذلك إلى أن كلا من بؤرة الجديد وبؤرة المقابلة يمكن أن تسند إلى حد من حدود الحمل أو إلى الحمل برمته. ويمكن توضيح هذا التنميط بواسطة الرسم التالي([2]):

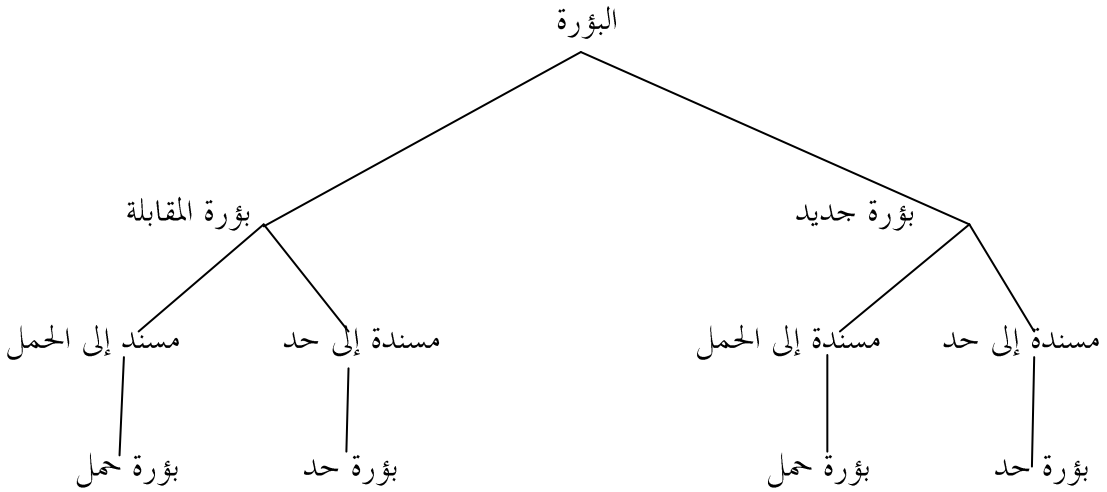

أنماط البؤرة ومكوناتها

([1]) – ينظر: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص252

([2]) – ينظر: المرجع نفسه، ص256

وفي ما يلي عرض مقتضب لأهم خصائص المكون المسندة إليه إحدى وظيفتي بؤرة الجديد وبؤرة المقابلة في اللغة العربية:

1 - يتحقق الحد المسندة إليه بؤرة الجديد في حمل استفهامي في شكل اسم استفهام كما في الجمل التالية(10):

(10) أ . **من** أنت؟

ب . **ماذا** ألفت هذه السنة؟

ج . **أين** ما وعدتني به؟

د . **كيف** السلو عن هند؟

هـ . **متى** سيلتئم الجرح؟

2 - تستخدم اللغة العربية للتعبير عن تبئير المقابلة, حين يتعلق الأمر بتبئير أحد حدود الحمل, الوسائل التالية([1]):

أ – يصدر الحد المبأر فيحتل الموقع م^0 طبقا للقاعدة سواء أكان الحمل حملا استفهاميا أم كان حملا إخباريا:

(11) أ . أهندا تكره (بنبر "هندا")

ب . فاطمة أكره! (بنبر "فاطمة")

ب – يفصل المكون المبأر في البنيات التعيينية التي من قبيل (12):

(12) الذي يجب أن يحارب الجهل

ج – يحصر المكون المبأر بواسطة أداة من أدوات الحصر كما هو الشأن في الجمل التالية(13):

(13) أ . لا يجب أن يحارب إلا الجهل

ب . ما كرهت إلا فاطمة

ج . إن الأمر إلا سوء تفاهم([2]).

([1]) – ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص96

([2]) – ينظر: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص258

خـــاتمـــــة

أفضت هذه المحاضرات التي سعيت من خلالها إلى البحث في جانب من الدرس اللساني؛ وهو النظام النحوي التركيبي للغة، وقد أدى الاهتمام المتزايد بهذا الجانب للغة في الدرس اللساني المعاصر إلى ظهور عدد من النظريات اللغوية؛ التي حاولت تقديم نماذجها التحليلية: رصدا للكليات اللغوية، وتحقيقا للكفاية التفسيرية في فهم اللغات الإنسانية وتحليلها. وقد أمكن التوصل إلى عدد من النتائج أوجز منها ما يأتي :

– نظرية النحو الوظيفي من بين النظريات اللغوية التي وجدت صداها في الدراسات اللسانية المعاصرة، وكسبت الرهان العلمي بما حققته من الشيوع والانتشار، والقابلية للاستثمار في حلقات البحث العلمي بما تمتلكه من إمكانات التقاطع العلمي مع الميادين التربوية والاجتماعية والاقتصادية.

– تعتبر نظرية النحو الوظيفي محصلة الاتجاه الوظيفي في تصوراتها النظرية والمنهجية الذي تطور من مجرد أراء متناثرة في الحلقات اللغوية خلال النصف الأول من القرن الماضي وصولا إلى عقده السابع؛ حيث اكتمل الجهاز المفاهيمي لهذا الاتجاه مع ميلاد هذه النظرية اللغوية.

– مرت هذه النظرية في مسارها بثلاثة نماذج: المرحلة الأولى؛ وتوصف بنموذج الجملة (نموذج النواة)، والمرحلة الثانية: وتسمى نموذج المعيار (نموذج النص)، والمرحلة الثالثة: وتعرف بنموذج ما بعد المعيار.

– تثير طبيعة المصطلح النحوي الوظيفي في استعماله اللغوي العربي بعض المعضلات والتي تحول دون تحصيله، لتشكل عائقا معرفيا في فهم النظرية وتطبيقاتها في اللغة العربية؛ وهو ما يتطلب جهودا واسعة في تبسيطها وإشاعتها بين الدارسين.

– تعد القدرة التواصلية مقصد التحصيل والتحليل لدى مستعمل اللغة الطبيعية؛ باعتبار أنها قدرة شاملة وقدرة واحدة لا تتجزأ، وتتألف هذه القدرة من ملكات لغوية لها أهميتها في فهم اللغة واستعمالها.

– لا تختلف النظريات البنوية عن النظريات الوظيفية في عدد من المسائل؛ من حيث مثلا اتخاذها للسان الطبيعي مجالا للدراسة، وفي كونها تسعى إلى وضع كليات لغوية للسان البشري.

– تفترق النظريات غير الوظيفية عن الوظيفية في كون الأولى تعتبر اللغة نسقا مجردا، وعلى هذا الأساس يتم دراستها، في حين ترى الثانية أن اللغة وسيلة للتواصل الاجتماعي أي نسقا يؤدي مجموعة من الوظائف أهمها وظيفة التواصل.

– وصف بنية اللغات الطبيعية بربطها بما تؤديه هذه اللغات من وظائف داخل المجتمعات البشرية؛ يعد المبدأ الأساس الذي ترتكز عليه النظرية. وانطلاقا من هذا المبدأ فإنها تقول بتبعية البنية للوظيفة؛ أي أن الدراسة الوظيفية يجب أن تجمع بين البنية اللغوية ووظيفتها، وما تسخر هذه البنيات لتأديته من أغراض تواصلية.

- تصاغ البنية في النحو الوظيفي من عدد من البنى أهمها؛ البنية الحملية، والبنية الدلالية، والبنية الوظيفية، والبنية المكونية، تشكل في مجموعها - إلى جانب عنصر أخرى- البنية النموذج للنحو الوظيفي

- تشتق الجملة في النحو الوظيفي (الاقتراح يخص المرحلة الأولى: نموذج الجملة (نموذج النواة)) عن طريق بناء بنيات ثلاث؛ البنية الحملية، والبنية الوظيفية، والبنية المكونية.

- تقسم الجملة بحسب تركيبها والعناصر المكونة لها إلى ثلاثة أنماط: جملة بسيطة، وجملة مركبة، وجملة معقدة (متعددة الحمول)، والجملة المركبة هي التي أخذت حيزا واسعا من التحليل، وأضيفت إليها أنواع أخرى مثل الجملة الرابطية.

- يمكن إرجاع مصطلح الوظيفة في نظرية النحو الوظيفي إلى مفهومين اثنين أساسيين: الوظيفة العلاقة، والوظيفة الدور.

- للوظيفة في النحو الوظيفي ثلاثة مستويات: مستوى الوظائف التركيبية؛ (فاعل , مفعول)، ومستوى الوظائف الدلالية؛ (متقبل, منفذ، مستقبل، زمان، أداة...)، ومستوى الوظائف التداولية؛ (المبتدأ، الذيل، المنادى، المحور، البؤرة).

قائمة

المصادر والمراجع

قائمـــة المصـــادر والمراجـــع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1994، الرغاية، الجزائر.

أ ولا: المصادر والمراجع العربية

1 – أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، دار الهلال العربية، ط01، 1993، الرباط، المغرب.

2 – ـــــــــــ، التركيبيات الوظيفية قضايا ومقاربات، دار الأمان، ط01، 2005، الرباط، المغرب.

3 – ـــــــــــ، الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، دار الأمان، ط01، 2012، بيروت، لبنان.

4 – ـــــــــــ، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الأمان، ط01، 2013، الرباط، المغرب.

5 – ـــــــــــ، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط02، 2010، بيروت، لبنان.

6 – ـــــــــــ، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، ط01، 1985، الدار البيضاء، المغرب.

7 – ـــــــــــ، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي؛ الأصول والامتداد، دار الأمان، ط 01، 2006، الرباط، المغرب.

8 – ـــــــــــ، الوظيفة والبنية مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، منشورات عكاظ، ط01، 1993، الرباط، المغرب.

9 – ـــــــــــ، الوظيفية بين الكلية والنمطية، دار الأمان للنشر والتوزيع، ط01، 2003، الرباط، المغرب

10 – أحمد البايبي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، عالم الكتب الحديث، ط01، 2012، إربد، الأردن.

11 – أحمد محمد قدور، مبادئ في اللسانيات، دار الفكر، ط03، 2008، دمشق، سوريا.

12 – إبراهيم براهمي، استراتيجيات الخطاب في رواية الثلاثة للبشير الإبراهيمي، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ط01، 2013، عنابة، الجزائر.

13 – الجاحظ، البيان والتبيين، تح: علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال، ط01، 2002، بيروت، لبنان.

14 – ابن جني، الخصائص، تح: عبد الحكيم بن محمد، مكتبة التوفيقية، د.ط، د.ت.ط، القاهرة، مصر.

15 – الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، ط01، 1992، الجزائر.

16 – حازم علي كمال الدين، نظرية القوالب؛ من نظريات علم اللغة الحديث، مكتبة الآداب، د. ط، 1997، القاهرة، مصر.

17 – حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط01، 2009، بيروت، لبنان.

18 – حافظ اسماعيلي علوي. وليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات؛ حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، الدار العربية لعلوم ناشرون، ط01، 2009، بيروت، لبنان.

19 – حسام البهنساوي، نظرية النحو الكلي والتراكيب اللغوية العربية، مكتبة الثقافة الدينية، ط01، 2004، القاهرة، مصر.

20 – حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، د. ط، 1998، الإسكندرية، مصر.

21 – ابن خلدون، المقدمة، ضبط ومراجعة: خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر العربي، د.ط، 2001، بيروت، لبنان.

22 – خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة، ط02، 2006، الجزائر.

23 – رشدي أحمد طعيمة، محمود كامل الناقة، تعليم اللغة اتصاليا بين المناهج والاستراتيجيات، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ط01، 2006، سلا، المملكة المغربية.

24 – الشاهد البوشيخي، نظرات في المصطلح والمنهج، الشاهد البوشيخي، مطبعة انفو برانت، ط01، 2002، فاس، المغرب.

25 – شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، ط01، 2004، بيروت، لبنان.

26– الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، المطبعة العربية، ط3، 1992، تونس.

27 – عاطف فضل محمد، النحو الوظيفي، دار المسيرة، ط01، 2013، عمان، الأردن.

28 – عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية، دار الحامد، ط01، 2004، عمان، الأردن.

29 – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار موفم للنشر، د.ط، 1991، الجزائر. طبعة أخرى: تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، د.ط، 2000، القاهرة، مصر.

30 – عز الدين البوشيخي، التواصل اللغوي مقاربة لسانية وظيفية (نحو نموذج لمستعملي اللغات الطبيعية)، مكتبة لبنان ناشرون، ط01، 2012، بيروت، لبنان.

31 – عبد العليم إبراهيم، النحو الوظيفي، دار المعارف، ط09، 1998، القاهرة، مصر.

32 – عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة العربية، د.ط، 1979، بيروت، لبنان.

33 – علي آيت أوشان، اللسانيات والبيداغوجيا؛ نموذج النحو الوظيفي" الأسس المعرفية والديداكتية"، دار الثقافة، ط01، 1998، الدار البيضاء، المغرب.

34 – غازي مختار طليمات، في علم اللغة، دار طلاس، ط02، 2000، دمشق، سوريا.

35 – فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر، ط02، 2007، عمان، الأردن.

36 – فاضل مصطفى الساقي، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي، د. ط، 1977، القاهرة، مصر.

37 – مجموعة من المؤلفين، آفاق اللسانيات دراسات– مراجعات – شهادات؛ تكريما للأستاذ الدكتور نهاد الموسى، إش: هيثم سرحان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط01، 2011، بيروت، لبنان.

38 – محمد الشكيري، دروس في التركيب بين النظرية التوليدية التحويلية والنحو المعجمي الوظيفي (تطبيقات على العربية)، دار الأمان، ط01، 2005، الرباط، المغرب

39 – محمد العبد، العبارة والإشارة؛ دراسة في نظرية الاتصال، مكتبة الآداب، ط04، 2010، القاهرة، مصر.

40 – محمود أحمد نحلة، علم اللغة النظامي. مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي، دار ملتقى الفكر، ط02، 2001، الإسكندرية.

41 – مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة تاريخها. طبيعتها. موضوعها. مفاهيمها. دار الكتاب الجديد المتحدة، ط01، 2010، بيروت، لبنان

42 – ابن منظور، لسان العرب، دار الجيل، د.ط، 1988، بيروت، لبنان.

43 – نعيمة الزهري، التعجب في اللغة العربية من الفكر اللغوي العربي القديم إلى النحو الوظيفي، منشورات ضفاف، ط01، 2014، بيروت، لبنان.

ثانيا: المصادر والمراجع المترجمة إلى العربية

1 – آلان بونيه، الذكاء الاصطناعي واقعه ومستقبله، تر: علي صبري فرغلي، عالم المعرفة، العدد 172، 19ابريل 1993، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

2 – اندريه مارتيني، وظيفة الألسن وديناميتها، تر: نادر سراج، المنظمة العربية للترجمة، ط01، 2009، بيروت، لبنان

3 – ـــــــــــ، مبادئ في اللسانيات العامة، تر: سعدي الزبير، دار أفاق، ط01، 1990، الجزائر.

4 – باتريك شارودو، دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، المركز الوطني للترجمة، ط01، 2008، تونس.

5 – بريجيته بارتشت، مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى نعوم تشومسكي، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط01، 2004، القاهرة، مصر.

6 – جاك موشلر– آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من المؤلفين، دار سيناترا. المركز الوطني للترجمة، ط01، 2010، تونس.

7 – جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، تر: محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، ط01، 1417هـ، الرياض، السعودية.

8 – جورج لايكوف، اللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي، تر: عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، ط01، 2008، الدار البيضاء، المغرب

9 – جولييت غارمادي، اللسانة الاجتماعية، تر: خليل أحمد خليل، دار الطليعة للنشر والتوزيع، ط01، 1990، بيروت، لبنان.

10 – جون لويتز، اللغة وعلم اللغة، تر: مصطفى التوني، دار النهضة العربية، ط01، 1987، القاهرة، مصر.

11 – ر .هـــ. روبتز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، تر: أحمد عوض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ع227، نوفمبر 1997، الكويت.

12 – كولنج، ن .ي، الموسوعة اللغوية، تر: محي الدين حميدي، عبد الله الحميدان، منشورات جامعة الملك سعود، ط01، 1421هـــ، الرياض، السعودية.

13 – نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، تر: عدنان حسن، دار الحوار، ط01، 2009، اللاذقية، سوريا.

ثالثا: المصادر والمراجع باللغة الأجنبية

01 - Jean. Dubois, et autres, Dictionnaire De Linguistique, Larousse,2002, paris, France.

02 - Savignon, S. : Communicative Competence, Theory and Classroom Practice, Reading, Adison - Wesley Publishing Company, 1983

03 - Ferdinand de Saussure, Cours de Linguistique Générale, Editions TALANTIKIT, 2002, Bejaïa, Alger.

04 - André Martinet, Eléments de Linguistique générale, ARMAND COLIN, Quatrième édition,1999, paris, France

رابعا: الرسائل الجامعية

1 - نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، مخطوط رسالة دكتوراه دولة في اللسانيات الوظيفية الحديثة، إعداد الباحث: يحي بعيطيش، إشراف: أ.د. عبد الله بوخلخال، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة قسنطينة، 2005م–2006م.

خامسا: المجلات والدوريات

1 - يحي أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، المجلد العشرون، العدد الثالث، أكتوبر، 1989، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

2 - عادل فاخوري، الاقتضاء في التداول اللساني، المجلد العشرون، العدد الثالث، أكتوبر، 1989، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

3 - مسعود صحراوي، الأفعال الكلامية عند الأصوليين؛ دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، العدد10، 2004، الجزائر.

فهرس المحتويات

العنوان **الصفحة**

- مقدمة:..... أ، ب، ج
- المحاضرة الأولى: النحو الوظيفي النشأة والتطور 08
- المحاضرة الثانية: مصطلحات النحو الوظيفي 28
- المحاضرة الثالثة: قضايا النحو الوظيفي..... 43
- المحاضرة الرابعة: القدرة اللغوية والقدرة التواصلية..... 52
- المحاضرة الخامسة: الفروق بين الاتجاه البنوي والوظيفي..... 66
- المحاضرة السادسة: مبادئ النظرية الوظيفية..... 74
- المحاضرة السابعة: البنية في النحو الوظيفي (البنية الحملية، الوظيفية) 84
- المحاضرة الثامنة: بنية الجمل وأنماطها في النحو الوظيفي..... 93
- المحاضرة التاسعة: الوظائف في نظرية النحو الوظيفي..... 97
- خاتمة:..... 113
- قائمة المصادر والمراجع:..... 116
- فهرس المحتويات:..... 122